ظل الموقف غامضاً صباح يوم 8 نيسان في حين كانت النجدات تصل تباعاً إلى ساحة المعركة. واستمر تبادل إطلاق النيران بين الفريقين، ولكن المجاهدين كانوا يفتقرون إلى التنظيم وتنقصهم القيادة الحكيمة، فجاءهم رشيد عريقات وسعى إلى تنظيمهم وطلب تركيز نيران الأسلحة المتبقية جميعها على القرية لاقتحامها. ولم يكن مع المجاهدين آنذاك سوى مدفع هاون من عيار بوصتين وعدد من رشاشات " برن " و " لويس ".

وبدأ الإقتحام في الساعة 11,00 وانتهى في الساعة 14,00 بدخول القرية وتحريرها. وقد فرّ الصهيونيون باتجاه طريق القدس – يافا، في الجهة الشمالية، حيث ركبوا سياراتهم المصفحة وغادروا منطقة القسطل. وحوالي الساعة 14,30 وجد المجاهدون القائد عبد القادر الحسيني شهيداً في أحد بيوت القسطل. وقد حاول قادتهم ألا يشغلهم ذلك عن استثمار النصر، فطلبوا منهم متابعة القتال ومطاردة الأعداء. ولكن استشهاد عبد القادر الحسيني ترك في نفوس المجاهدين ألماً عميقاً، فساد صفوفهم الإرتباك وفقد القادة سيطرتهم على الأفراد، وأخذت النجدات تغادر القسطل فلم يبق في القرية سوى رشيد عريقات وعبد الحليم الجيلاني وقواتهما.

بُعثت رسائل سريعة إلى القرى المجاورة طُلب فيها إرسال المناضلين للمرابطة في القرية والمحافظة عليها. ولكن الإستجابة كانت محدودة، إذ شغل الناس باستشهاد عبد القادر الحسيني. وأخيرا غادر من بقي في القسطل مواقعهم في القرية، وعاد رشيد عريقات في الساعة الثانية من مساء 8 نيسان إلى المنطقة الشرقية من القدس حيث موقعه الأصلي. وبقي الجيلاني إلى وقت متأخر من ليلة 9 نيسان، ثم أخلى القسطل مع من معه من المجاهدين، فعاد الصهيونيون واحتلوها يوم 9 / 4 / 1948 وتمسكوا بها.

كانت معركة القسطل رغم الظروف غير المتكافئة مثلاً رائعا من أمثلة التضحية الفردية والحماس والإندفاع العربي. ولكنها كانت أيضاً إنتصاراً ضائعاً نتيجة ضعف التسليح والإفتقار إلى التنظيم وقلة الذخائر وسوء الخدمات الطبيّة الميدانية ووسائل الإتصال.

المراجع

1 - عارف العارف: النكبة، ج1، بيروت 1956.

2 - الموسوعة الفلسطينية: الجزء الثالث، ص: 570 - 573. إشراف د. أنيس صايغ. الطبعة الأولى، دمشق 1984.

معركة قصر العظم
(18 تشرين الأول 1925)

من أهم المعارك التي خاضها المجاهدون السوريون ضد القوات الاستعمارية الفرنسية سنة 1925، حيث كان قصر العظم المعروف – في حيّ البزوريّة – يستعمل مسكناً للمندوب السامي. وكانت تحميه قوة كبيرة من المصفحات والجنود عندما يكون المندوب السامي موجوداً فيه. وشاء الجنرال " ساراي " أن يودّع القصر بمناسبة رحيله إلى باريس في يوم الثامن عشر من تشرين الأول، فجرى له احتفال كبير حضره ضباط القيادة الفرنسية وعائلاتهم، واصطف الجنود في ردهات ودهاليز وعلى سطوح القصر تأهباً للطوارئ.

وفي الساعة الثانية من النهار ترامى إلى القيادة أن حركة مريبة تجري في المدينة، وخاصة في حيّ الميدان. وبعد ساعة واحدة تأكدت هذه الأنباء بسقوط مخفر " باب مصلى " و " باب مصر " بيد الثوار. ورغم أن الجيش الفرنسي كان في حالة استنفار، فقد وجدت القيادة صعوبة كبيرة في السيطرة على نفسها، وتلافي الوضع قبل أن تسقط المدينة بأسرها بيد الثوار. وكان كل ما فعلته، أن سلطت مدافعها على أحياء المدينة، وأمرت أسراب طائراتها بالتزوّد بالقنابل الثقيلة المتفجرة والمحرقة. كما أصدرت أمراً إلى إحدى كواكب المصفحات الرشاشة أن تنتقل إلى قصر العظم زيادة في الحماية.

وفيما كانت كوكبة المصفحات في طريقها لتنفيذ المهمة، كان الثوار وعلى رأسهم محمد الأشمر وحسن الخراط قد حاصروا القصر واستعدوا لملاقاة أية نجدة تأتيه من الخارج. ووصلت المصفحات إلى " الدرويشية "، ثم انحرفت الأولى لتدخل سوق مدحت باشا. وكان كل شيء هادئاً. واستطلعت المصفحة السوق من أوله إلى آخره، فلم يسترع انتباه كشافتها شيء يذكر. إلا أن المحلات كانت مغلقة عن آخرها، والظلام مخيم على السوق بأسره. وعادت المصفحة إلى مدخل السوق وقدمت تقريرها: " لا أثر للثوار... ".

واقتحمت المصفحات السوق، وما كادت تصل إلى مدخل " البزورية " حتى انهال

عليها الرصاص من كل جانب، ومن أمكنة خفيّة لا يمكن معرفتها. وفجأة وجد سدنة المصفحة أنفسهم كالعميان، فقد عطلت مصابيح عرباتهم الأسيتيلينية وخرق الرصاص صفائحها المعدنية، ثم أخذ الرصاص ينفذ إلى داخلها. رفع السدنة الأبراج يريدون الهرب ولكن بعد فوات الأوان. كما أن التراجع من رابع المستحيلات. وعلى لهيب النار المنبعثة من المصفحات، أدرك من بقي حيّاً من الجنود الفرنسيين أنه قد حكم عليه بالإعدام، فقد أبيد أفراد الكوكبة واحترقت مصفحاتهم عن آخرها.

أما ما كان يجري في قصر العظم، فقد استطاع المجاهدون أن ينزعوا أحجار الجدران الشرقية وأن ينفذوا إلى داخله، وعلى أنغام لحن " الفالس " سمع المحتفلون بوداع الجنرال " ساراي " رحى معركة عنيفة تدور في باحة القصر. فسقطت الأقداح من الأيدي، وأطفئ النور، وانبعثت صرخات الرعب من كل جانب. وقد تمكن " ساراي " من الهرب كما يهرب المغامرون، قبل دقيقة واحدة من وصول أحد الثوار إليه. فقد دخل الثائر ' حسن المقبعة ' إلى الغرفة التي كان المندوب السامي موجوداً فيها، وهو يشقّ لنفسه طريقاً بين وابل الرصاص. ويبدو أن المندوب فرّ من إحدى النوافذ.

ولم يستطع حرس القصر الذين أبيد معظمهم من السيطرة على الوضع إلا بإحراق القصر، وقد فعلوا ذلك دون تأخير. وهنا انقلب المجاهدون من رجال ثورة، إلى رجال إطفاء. فأخذوا يكافحون النار، لا لإنقاذ أنفسهم، بل لإنقاذ آثار القصر من الحريق. وقد استشهد " حسن المقبعة " بعد إخماد الحريق، وهو خارج من القصر. وكان استشهاده إغتيالاً بيد الجنود المذعورين المختبئين في بحيرة الماء.

ظنت القيادة الفرنسية أن دمشق سقطت بأيدي الثوار، فأعطت الأمر لمدافعها وطائراتها ببدء العمل. باشرت المدفعية 105 و 75 بإطلاق حممها على الدور الآمنة المطمئنة واستمر القصف طوال الليل. وفي الصباح حلقت الطائرات في سماء المدينة وراحت تلقي بأحمالها فوق المناطق والأحياء التي لم يصلها الحريق. ودام القصف مدة ثمان وأربعين ساعة، إلى أن خرجت إحدى طائرات الاستكشاف وحلقت على علوّ منخفض، ثم عادت لتعطي تقريرها:

" لم يبق جدار في حيّ الميدان... ولا أثر لأي مخلوق... ".

ولم يكتفِ الفرنسيون بحرق المدينة وتهديم دورها، وقتل سكانها بأبشع طريقة عرفتها البشرية، بل تابعوا أعمالهم التعسفية بفرض الشروط والغرامات. ففي اليوم التالي من ابتداء القصف، مثلت أمام القيادة الفرنسية بضع نساء ثكلى وأرامل ومهدّمات البيوت، ورحن يتوسلن إلى الجنرال " غاملان "- بالآهات والدموع - أن يرفع القصف عن المدينة، فأجابهنّ الجنرال بعنجهية القائد الفرنسي، وقد أحس بالظفر غير الشريف الذي كان يحنّ إلى الحصول عليه، أجاب مملياً شروطه:

" أولاً، ليس بالإمكان رفع القصف عن المدينة، لأن القنابل التي أمرنا بإطلاقها لم تستنفد بعد... ثانياً، لدينا بعد أطنان من القنابل، فإذا لم يرضخ الأهالي لمطاليبنا بدفع غرامة قدرها مائة ألف ليرة ذهبية، وثلاثة آلاف بندقية حربية، مع كل منها مائة طلقة، فإنني سآمر باستمرار القصف حتى تمحى المدينة عن الخريطة... ".

وفتح الجنرال الخريطة أمام النسوة المذهولات وأراهنّ مدينة دمشق، ثم أشعل عوداً من الثقاب وأحرق القسم الذي تحتله المدينة على الخريطة. فأغمي على امرأتين وهربت الثالثة، أما الباقيات فقد صرخن بنبرة واحدة: " الله ينتقم منكم يا اولاد الحرام ". وقهقه الجنرال وأعاد هذه العبارات بلغة ركيكة.

وفي المساء، أعلن المعتمد البريطاني في دمشق بلاغاً إلى الرعايا البريطانيين جاء فيه:

" نظراً لتردد الشاميّين في إجابة السلطات الفرنسية بدفع الغرامات والأسلحة والذخائر المطلوبة منهم، فإن القيادة الفرنسية ستستأنف قصف المدينة من جديد. فعلى رعايا مملكة صاحب الجلالة أن يؤموا دار القنصلية البريطانية صباح السبت 24 تشرين الأول 1925، مزوّدين من القوت بما يكفيهم لمدة أسبوع، ومصحوبين بالأوراق الرسمية التي تثبت تبعيتهم لمملكة صاحب الجلالة، ملك بريطانيا والهند وكافة المستعمرات... ".

وكان لهذا البيان الفظيع أسوأ الوقع في نفوس السكان، فوقعوا في حيرة رهيبة، ولم يجدوا طريقة لتنفيذ هذه المطالب، إلا بالالتحاق بقوات الثورة المرابطة في الغوطة الشرقية، والتي تكمل استعدادها للمرة القادمة. وأيقن الفرنسيون أن مطالبيهم لن تنفّذ، وفي الوقت نفسه كانوا يخشون من إثارة الرأي العام العالمي - عدا بريطانيا - مما جعلهم

يطلبون من الحكومة المحلية أن تتعهد بدفع هذه الغرامة، على أن تستردّها فيما بعد من الأهلين على شكل ضرائب. وأما البنادق والذخائر فقد أوعزت السلطات الفرنسية إلى المتطوعين في صفوفها أن يسرقوا من القلعة ويبيعوا الأهلين. ووصلت قيمة البندقية العتيقة طراز (7 – 15) إلى عشر ليرات ذهبية، كان الأهلون يبيعون أنقاض بيوتهم ليشتروها ويسلموها إلى السلطات. في حين كان كثير منهم ما إن يحملوا البندقية حتى يطلقّوا حياة الخوف ويلتحقوا بالثورة.

(ولعلّ ما يعبّر عن الشرف العربي من جهة، والغدر الفرنسي وهمجّيتة من جهة أخرى، تلك الرسالة التي بعث بها المجاهد حسن الخرّاط إلى المندوب السامي الفرنسي، والتي يقول فيها:)

"... أما سياسيّاً، فإنني كلّلت شرف العرب بما هو أهله واستحسن فعلي العالم كله لحسن إدارة رجالي ومحافظتهم على إخواننا المسيحيين والأجانب خصوصا، وعلى الضعفاء عموماً. وأما أنت أيها المندوب السامي فقد نحرت شرف فرنسا، وصوّبت قنابلك إلى قلبها بدلاً من قلبنا... أنت ممثل فرنسا وأنا حارس دمشق... أنا أسرت جندك أسراً شريفاً، وأنت ضربت النساء والشيوخ والأطفال ضرباً دنيئاً... أنا حافظت على الآثار القديمة وأنت هدمتها وحرقتها يا جننار (أي يا جنرال) يا ممثل فرنسا. كان بودّك أن تجعلها حرباً دينيّة إسلامية وتفرّق بيننا وبين إخواننا، ولكن الله أبى ونحن إرادتنا من إرادة الله فأبينا... لقد ضيّعت رشدك، وخربت الأحياء الإسلامية على رؤوس أهليها آملاً أن أقابلك بالمثل، وقد فاتك أننا عرب نحافظ على الجار... أنت جننار وقائد الفرق والجيوش، وأنا حارس بسيط. أنا جمعت عقلي وأنت ضيّعت رشدك... إلخ ".

المراجع

1 – سلامة عبيد " الثورة السورية الكبرى " (على ضوء وثائق لم تنشر). مطابع دار الغد. بيروت 1971. ص 176.

2 – فارس زرزور " البطولات: معارك الحرية في سورية ". الطبعة الثانية 1971. ص 230 – 235 و 265.

3 – " الموسوعة العسكرية " بإشراف المقدم الهيثم الأيوبي. الجزء الثاني. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت. الطبعة الأولى 1979. ص 59.

معركـة القَطَمُون

القطمون حي عربي واقع غربي مدينة القدس إلى الجنوب قليلاً. ويقوم على رابيـة مشرفة على معظـم الأحياء العربيـة واليهوديـة فـي القـدس الجديـدة، وهـي: البقعا الفوقـا، والبقعا التحتا، ورحافيا، وميكور حاييم، وتل بيوت. وأكثر نقاط القطمون إشـرافاً ديـر مـار سمعان، وهو مقرّ الكرسي البطريركي الصيفي للروم الأرثوذكس. ونظرا لهذا كان للحـي، ولبناء الدير بالذات، قيمـة عسـكرية كبرى عرفهـا الصـهيونيـون فسـعوا إلـى احتلالـه منـذ أواخر شهر نيسان 1948، فـي حيـن أهمـل سـكان الحـي تحصينـه وتركـوا مهمـة الدفـاع للمجاهدين من قوات جيش الجهاد المقدس، وكانوا قلّة بقيادة المناضل إبراهيم أبو ديّة. ولـم يكن هؤلاء مزودين بالاسلحة الكافية لأن رقابة سـلطات الانتـداب البريطانيـة علـى إدخـال السلاح إلى الفلسطينيين من الخارج وحمله ونقله كانت شديدة، بينما كـانت السـلطات ذاتهـا تتغاضى عن تسليح اليهود.

مهّد الصـهيونيون لاحتلال حي القطمون بالإستيلاء على معظم المباني والمرتفعات المشرفة على الحي وحصّنوها جيـداً، ولا سـيما مبنـى " زلـير شـتاين " المؤلـف مـن أربـع طبقات. وسيطروا على جميع وسائط النقل حتـى أصبحـت باصـات القطمـون عـاجزة عـن الوصول إلى نقطة أبعد من الحي اليهودي " الثوري ". ومن هناك كان الركاب ينقلون إلـى باب الخليل في سيارات مصفحة لأن اليهود كانوا يطلقون من حيّ مونتفيـوري النـار علـى كل سيارة ويقابلهم العرب بالمثل من جبل صهيون. قد أدّى هذا الوضع إلـى هجـرة معظـم سـكان القطمـون، ممـا أغـرى الصـهيونييـن بمهاجمتـه بعنـف بعـد أن قطعـوا عنـه التيـار الكهربائي والاتصالات الهاتفية يوم 10 / 3 / 1948 ونسفوا ثلاثة منـازل عربيـة. ولكـن المجاهدين استبسلوا في الدفاع عنه وأجبروا المعتدين على الارتداد. وقـد تكـرّر ذلـك عـدة مرات خلال شهري آذار ونيسان 1948.

بـعـد أن فشلـت كـافـة المحـاولات فـي القـدس، وبالتـالي فك الحصـار عـن الأحياء اليهودية في القدس، ولا سيّما حيّ " ميكرو حاييم، ومع اقتراب موعد جلاء القوات

البريطانية عن فلسطين، أولت القيادة الصهيونية منطقة القدس جل اهتمامها وعملت على تعزيز قواتها فيها بخيرة رجالها المقاتلين ووحداتها المقاتلة، ومنها اللواء هارئيل (بالماخ) الذي تحرك باتجاه القدس يوم 20 / 4 / 1948 في قافلة من 350 عربة على رأسها دافيد بن غوريون رئيس الوكالة اليهودية. ولكن هذه القافلة وقعت في كمين أعده لها المجاهدون العرب وتكبدت خسائر فادحة قبل أن تتمكن من التخلص منه بعد وصول النجدات. وعندئذ اتضح للقيادة الصهيونية أنه لا بد لها من خطة متكاملة محضّرة جيداً للسيطرة على منطقة القدس فوضعت ما دعته بخطة " يبوس " (الاسم القديم للقدس بالكنعانية).

كان الهدف المباشر للخطة فك الحصار المضروب على القدس الجديدة والحي اليهودي بالقدس القديمة، بالاستيلاء على المناطق الأربع المسيطرة على المدينة وجوارها، في المرحلة الأولى، وهي: النبي صموئيل، والشيخ جرّاح، والقطمون، ومستشفى اوغستا فكتوريا على جبل المكبّر.

نصّت خطة الهجوم على التحرك على ثلاثة محاور: الأول باتجاه النبي صموئيل بهدف فتح الطريق إلى النبي يعقوب، والثاني باتجاه الشيخ جرّاح للوصول إلى جبل المكبّر، والثالث باتجاه القطمون لتأمين الاتصال بميكرو حاييم والمستعمرات الصهيونية حول مدينة القدس.

بدأ تنفيذ الهجوم يوم 27 / 4 / 1948 على بيت إكسا وشعفاط تمهيداً لاحتلال النبي صموئيل. وفي اليوم التالي هاجم الصهيونيون حي الشيخ جرّاح بينما كانت القوة المخصصة لاحتلال القطمون تستعد لتنفيذ مهمتها. وفي ليلة 29 – 30 نيسان تحركت هذه القوة باتجاه دير مارسمعان عبر درب شديد الوعورة في الوادي، ثم تسلقت الرابية من أقسى منحدراتها بهدف مفاجأة المناضلين الذين تمركزوا هناك معتبرين هذا الاتجاه غير صالح للهجوم. وعندما أصبحت على مقربة من الذروة استراحت فترة ثم هاجمت الدير وتمكنت من احتلاله بعد معركة قصيرة مع بعض المقاتلين العراقيين التابعين لقوات الجهاد المقدس. إلا أن هؤلاء تمركزوا بعد انسحابهم من الدير في البنايات المجاورة وأمطروا الصهيونيين نيراناً حامية أوقعت فيهم خسائر كبيرة ومنعتهم من توسيع رقعة الاحتلال،

فقرر القائد الصهيوني، وقد بدأت خيوط الفجر تلوح، أن يتحصن داخل الدير بانتظار الظلام لمتابعة التقدم. وكان المجاهدون آنئذ يقتربون خلسة من العدو مستفيدين من أسوار الحدائق وجدران المنازل، وشنوا هجوماً معاكساً على القوات الصهيونية التي بدأت تشعر بحرج الموقف، فصعد عدد منهم إلى سطوح الدير وقذفوا العرب بعدد كبير من القنابل اليدوية، ممّا حدّ من قوة الهجوم المعاكس ثم إيقافه. وكان عدد القتلى والجرحى بين الصهيونيّين قد تزايد كثيراً وساور قائدهم الشك بإمكانية الاحتفاظ بالدير، ففكر بالانسحاب، ولكن نظراً لاستحالة نقل الجرحى فقد قرر الانتظار حتى يحل الظلام ثم يبدأ بالانسحاب.

وفي تلك الأثناء وردت أنباء من حي ميكور حاييم المحاصر بأن أعداداً كبيرة من الأهالي العرب بدأت تغادر الحي عن طريق السفوح الأخرى، الأمر الذي رفع معنويات القوات الصهيونية.

عاود العرب بعد ظهر يوم 30 نيسان الهجوم على الدير، تساندهم مصفحة تحمل مدفعاً. ولكنهم لم يحققوا أي نجاح لعجزهم عن استغلال القدرة النيرانية للمصفحة بشكل جيد، فتوقفوا. وفي المساء سمعت أصوات انفجارات شديدة متواصلة. وعلم الصهيونيون المحاصرون في الدير أن هذه الرمايات من مدفعية اللواء " عتصيوني " الذي يتحرك من اتجاه كريات شموئيل لدعمهم، فقرروا الصمود رغم الخسائر الكبيرة التي منوا بها. ومع حلول الظلام مساء يوم 30 نيسان بدأت قوات اللواء عتصيوني تصل إلى الدير وتحل محل قوات اللواء هارئيل الذي عاد إلى القدس حاملاً جرحاه وجثث قتلاه. وفي صباح 1 / 5 / 1948 تابعت قوات اللواء عتصيوني تقدمها من منزل إلى آخر حتى تمّ لها الاتصال بحي ميكور حاييم وسيطرت على حي القطمون بكامله.

بعد أن أخلي حي القطمون من معظم سكانه، لم يبق فيه سوى بعض العائلات الفقيرة كان أفرادها يتعاونون في الدفاع عنه مع المجاهدين العراقيين والفلسطينيين من قوات الجهاد المقدس الذين كان عددهم يراوح بين 180 و 200 مجاهد، بعد وصول نجدة إليهم من قوات جيش الإنقاذ بقيادة عبد الحميد الراوي. ولكن هؤلاء لم يمكثوا في الحي سوى 24 ساعة ثم انسحبوا. كما كان هناك حوالي 30 جندياً من القوات الأردنية مع ثلاث عربات مدرعة مكلفة حماية القنصلية العراقية، وما إن بدأ هؤلاء بمساعدة

المجاهدين حتى أصدر القائد البريطاني أمراً للقائد الأردني عبد الله التل لسحبها فوراً وإلا تعرضت لقصف المدافع البريطانية: ولما أعلم التل الملك عبد الله بذلك أوعز إليه بتنفيذ الأمر فانسحبت المفرزة الأردنية.

وحاول إبراهيم أبو ديّة، بعد أن جمع حوالي 300 مجاهد من القرى المجاورة القيام بهجوم معاكس على القطمون واسترداده، ولكن القوات البريطانية حالت دون وصوله.

وهكذا سقط أجمل حي عربي في القدس بسبب تفوق العدو العددي الكبير (بلغت القوات المهاجمة حوالي ثلاثة آلاف) وتقاعس الجنود البريطانيّون عن تنفيذ وعودهم بالمحافظة على الوضع القائم حتى انتهاء الإنتداب.

المراجع

1 – عارف العارف: النكبة، بيروت 1956.

2 – حسن البدري: الحرب في أرض السلام، القاهرة 1976.

3 – عبد الله التل: كارثة فلسطين، القاهرة 1959.

4 – محمد فائز القصري: حرب فلسطين. دمشق 1962.

5 – الموسوعة الفلسطينية: الجزء الثالث ص: 582 – 584، إشراف د. أنيس صايغ. الطبعة الأولى، دمشق 1984.

حرفا " الكاف " و " اللام "

(ك) و (ل)

1 – الكاظمة

2 – الكرامة

3 – كفار عصيون

4 – الكفر

5 – لبدة

6 – اللسّانة

7 – لوشة

معركـة الكاظمة

أو " ذات السلاسـل "

ان دراسة تاريخ الحرب ليست - كما قال الخبير العسكري الالماني " مولتكه " (Moltke) - وسيلة للإيناس والبهجة دائماً... إنما يجد فيه المرء حقائق ناصعة تهتز لها الأرواح... حقائق تنبئنا بالنمط الذي مشت عليه الحوادث، والدواعي التي وجهت تلك الحوادث وأجرت مسيرها في وجهة معلومة. وهذه الحقائق تنبئنا أيضاً بأسلوب حدوثها مرة أخرى.

والجدير بالذكر أن أول عربي في التاريخ راودته فكرة تحرير العراق من الفرس وضمّه إلى الحظيرة العربية كان على وجه التأكيد " المثنّى بن حارثة الشيباني "، فكان شغله الشاغل وحلم يقظته الذي لا يبرح مخيّلته أينما رحل وحلّ... حلم كانت تغذّيه ذكريات معركة " ذي قار " حيث كان له ولأفراد أسرته وقبيلته نصيب كبير من شرفها ومجدها، وتشدّد من عزيمته وارادته وتصميمه عقيدة آمن بها من غير جبر ولا إكراه!

ففي السنة التاسعة للهجرة ذهب وفد من قبيلة ربيعة وقبيلة شيبان على رأسه المثنّى بن حارثة إلى محمد ﷺ في المدينة يعرضون عليه دخولهم الاسلام، ويشرحون له الموقف في العراق، فرحب محمد بهم وبارك جهادهم.

ولم يتوانَ المثنّى بعد وفاة محمد من جمع قبائله ليحارب بها المرتدين عن الاسلام من أهل الردّة في البحرين وما جاورها فأحرز عليهم نصراً سهّل على جيش عكرمة بن أبي جهل مهمته.

ورجع إلى وطنه العراق وقد صمّم على قتال الفرس بالقوى التي كانت بيده: برجاله المحاربين وعددهم نحو ثمانية آلاف مقاتل... وبماضي قبيلته المجيد الذي حققته في معركة " ذي قار "... وبالقوة الروحية الهائلة التي استمدّها من إيمانه بدينه الجديد. فبدأ غاراته على ضفاف الفرات الغربية يقاتل حاميات الفرس المنتشرة على طواره، ويحرض فلاحي تلك المقاطعات على تحرير أنفسهم وأرضهم من جور حكامهم المستبدين. وقد

سبقت شهرته الى العاصمة العربية، فنبّه عمله هذا الخليفة أبا بكر فسأل: - من هذا الذي تأتينا أخبار وقائعه قبل معرفة نسبه؟

فأجابه قيس بن عاصم: هذا رجل غير خامل الذكر ولا مجهول النسب ولا ذليل العماد، هذا المثنّى بن حارثة الشيباني!.

ولما ذهب المثنّى الى المدينة يستطلع رأي الخليفة في عمله وعلى خططه الرامية الى تحرير العراق العربي من حكم الفرس، وجد من الخليفة كل التشجيع على الاستمرار على ما بدأ به، واعداً إياه بالعون، فرجع المثنّى الى العراق وهو أشد حماسة في قتال الفرس، واستمر يغير على الأطراف مستطلعاً مدى مقاومة الفرس له، منتظراً وصول النجدات التي وعده الخليفة بها ليقوم بالحركات العسكرية الكبرى التي كانت تراود فكره.

وعندما تلقى أمر الخليفة بالالتحاق بخالد بن الوليد... ويتقيّد بأمره، لم يجد في ذلك مهانة، بل وجد فيه شرفاً فلبّى النداء وقام بواجبه حتى النهاية...

وفي أوائل السنة الثانية عشرة للهجرة (أواسط شهر مارس / آذار 633 م)، تلقّى خالد بن الوليد وهو في اليمامة أمراً من الخليفة بالهجوم على الفرس في العراق بعد أن يستنفر القبائل غير المرتدّة ويضمّها إلى جيشه الذي قاتل به بني حنيفة، والذي لم يكن ليزيد عن ألفي مقاتل (2000). فأرسل خالد إلى قبائل مضر وربيعة وغيرهما من القبائل يدعوها إلى المساهمة في تحرير العراق، وعيّن له " النباج " مكاناً للتجمّع.

وطلب الى كل من المثنّى بن حارثة الشيباني وحرملة ومذعور وسلمى - الأمراء الذين كانوا يقاتلون الفرس في حرب المشاغلة على ضفاف الفرات الغربية - ليجتمعوا به برجالهم الذين يبلغون ثمانية آلاف مقاتل في " النباج " ذاتها.

وتمّ التحشد في الموقع المذكور دون أن يلفت نظر الفرس أو ينبههم إلى خطره. فأرسلت مضر وربيعة ثمانية آلاف مقاتل، وتمّ للمثنى جمع مثل هذا العدد، فصار مجموع الجيش المحتشد في " النباج " ثمانية عشر ألف رجل يقوده خالد بن الوليد.

وفي " النباج " - ذلك المركز الأمين الذي تتشعّب منه طرق متعددة إلى أهم مدن العراق الجنوبية - وضع خالد بن الوليد خطته لمعركة الفتح الأولى بعد أن استشار المثنى وقادة جيشه الآخرين الذين يعرفون طبيعة الأرض وطوبوغرافيتها، والقوى

الفارسية وخصائصها أكثر مما يعرفه خالد بن الوليد عن هذه البلاد التي لم يسبق له أن زارها.

وكانت خطته هذه ترمي الى الاستيلاء على " الأبلة " وهي الميناء الخطير الذي وصفه الخليفة بأنها مفتاح الهند، كما وصفها من بعده بمئات السنين كل من الالمان والانكليز والروس.

وتحقيقاً لهذا الغرض فان أفضل محل يختاره هدفاً أول كان " الحفير " – مركز الماء الوفير وملتقى الطرق العديدة المؤدية تواً إلى " الأبلة " –.

قسم خالد جيشه الى ثلاثة أرتال، تزحف نحو الهدف على الوجه التالي:

1 – رتل المثنّى بن حارثة الشيباني مقدمة سوقية للجيش، يتحرك قبل حركة الجيش بيومين، ويرسل إليه المعلومات التي يستطيع الحصول عليها عن حركات الجيش الفارسي.

2 – رتل عُدَي بن حاتم ويسير قبل حركة القسم الاكبر من الجيش بيوم واحد.

3 – كوكب الجيش بقيادة خالد نفسه.

هذا، وقد علم حاكم الثغر الفارسي، وكان يدعى " هرمز " بزحف الجيش العربي من رسالة بعثها إليه خالد بن الوليد جاء فيها:

" أسلم تسلم أو اعتقد لنفسك وقومك الذمة واقرر بالجزية وإلا فلا تلومنّ إلا نفسك، فقد جئتك بقوم يحبّون الموت كما تحبّون الحياة ". ويغلب على الظن – كما يشير العقيد محمود الدرّة – أن خالداً كان يرمي برسالته هذه إلى تحريض حاكم الفرس على ملاقاته بجيشه بعيداً عن " الأُبُلّة " ومياهها وبساتينها فضلاً عن الغاية المعنوية التي كان يرمي إليها لإفزاع أعدائه وتخويفهم. فليس من الحكمة أن يقبل معركة مثل ما وصفناه، ولا بد أن يناجز خصومه على تعبئة سبق ان اقتبس من فنونها كثيراً في معارك جاهليته واسلامه ولجيشه خبرة في القتال عليها. وقد نجح في مسعاه لأن هرمز بعد أن رأى أن في الأمر اكثر مما كان يراه في غزوات البدو، أسرع فأخبره مليكه في المدائن مستنجداً، وجمع جيشه في " الأُبُلّة " ينتظر أخبار العرب فوردته بأنهم تواعدوا على الاجتماع في " الكاظمة " فقرر الزحف إليها. ويظهر أنها كانت مكيدة من العرب دبرت له، إذ علم هرمز

بعد ذلك بأن الجيش العربي لم يتواعد على الاجتماع في " الكاظمة " بل في " الحفير "، فخفّ إليها وتعبّا فيها واضعاً على مجنّبتيه قائدين منتميين الى بيت الملك منتظراً قدوم العرب.

ولما سمع خالد بخبر الفرس واحتلالهم " الحفير " عدل عن فكرته الأولى وأبلغ قادة أرتال جيشه لينحرفوا عنها إلى الكاظمة الواقعة على الخليج. والكاظمة على ما يبدو في الخريطة، تبعد عن " الحفير " ذاتها أكثر من 120 ميلاً الى الشرق، وهي مسافة ليس من السهل قطعها بجيش يبلغ عدده ثمانية عشر ألف محارب دون أن يشعر به الفرس حكام البلاد. وهذا ما حدث في الواقع لأن هرمز علم بعد ذلك بنيّات خالد فأسرع بجيشه وسبق خالد إلى احتلال الكاظمة وسيطر على مياهها العذبة وعبأ جيشه فيها.

وتلاقى الجيشان في الكاظمة، وقيل أن الفرس قد اقترنوا بالسلاسل عزيمة منهم على الدفاع حتى الموت، والماء في أيديهم. وقدم خالد عليهم، فنزل على غير ماء؛ فقالوا له في ذلك، فأمر مناديه فنادى: " ألا أنْزلوا وحُطّوا أثقالكم، ثم جالدوهم على الماء، فَلَعَمْري ليصيَرنّ الماء لأصبَر الفريقين، وأكْرَمِ الجندين. فحُطّتْ الأثقال والخيل وقوف؛ ثم زحف إليهم حتى لاقاهم، فاقتتلوا؛ وأرسل الله سحابة فأغدرت ما وراء صفّ المسلمين.

ثم خرج هرمز فنادى على النّزال، فمشى خالد إليه، فالتقيا واختلفا ضربتين، واحتضنه خالد، فشدّ أهل فارس يريدون قتل خالد واستخلاص هرمز من يده، ولكن القعقاع بن عمرو لم يمهلهم وحمل عليهم، وشدّ المسلمون، فانهزم أهل فارس أمامهم، فطاردوهم وركبوا أكتافهم إلى الليل. وانتهت المعركة بنصر العرب على أعدائهم نصراً مبيناً وقتلهم هرمز قائد الفرس.

ولم يكتف خالد بنصر موضعي، بل أراد أن يستغل أول انتصار اسلامي على الفرس استغلالاً له تأثيره الشديد في مجرى الحركات الحربية المقبلة في العراق. فأرسل رتل المثنى يطارد فلول المنهزمين ويطهر منطقة " الأُبُلة " من الشمال من حامياتهم، وبعث كذلك " معقل المزاني " إلى الأبلة ليتسلم حكم المدينة ويجمع مالها وأسراها، وتقدم هو بجيشه الأصلي الى موضع الجسر الأعظم وعلى هامته خوذة هرمز الذهبية المرصّعة بالحجارة الكريمة النادرة، والتي كانت فيما بعد حصته من غنائم وقعة الكاظمة أو معركة

" ذات السلاسل ". فكانت خير شعار ظفر يزين به رأسه كذكرى أول نصر في سبيل تحرير العراق.

أما المثنّى فانه سار شمالاً إلى نهر المرأة حيث حاصر هو وأخوه المعني، الحصن القائم على ضفته وأسر من فيه، وطهر المنطقة كلها من الأعداء.

وعلى هذا النحو، انتهت المعركة الأولى بين المحرّرين والمهزومين في الوقت الذي كانت فيه جيوش الانقاذ الفارسية تتوارد من المدائن إلى الجنوب، ولكنها لم تستطع الاشتراك في تلك المعركة، لكنها أشتركت في غيرها، وباءت بالخيبة والفشل.

معركة المذار:

على هذا الأثر، تراجعت فلول جيش هرمز بعد معركة " ذات السلاسل " الى الشمال بمحاذاة نهر دجلة القديم (مجرى دجلة الحالي)، وكان يقودها أميران فارسيان من الذين اشتركوا في معركة الكاظمة ونجوا من الموت وهما: أنو شجان وقباذ. ولما وصلت فلولهم إلى " المذار " – على نهر دجلة في منتصف المسافة بين القرنة والعمارة – لقوا جيش الانقاذ الذي أرسله ملك الفرس شيرويه بقيادة قائده الكبير " قارن "، فتشاوروا في أمرهم وصمّموا على الدفاع في المذار – أو على حد تعبيرهم " اذا افترقنا فيها فلن نجتمع بعدها أبداً " –. وعبأ قارن جيشه الذي أتى به من المدائن في القلب مستخدماً جيش كل من أنو شجان وقباذ على مجنبتيه منتظراً جيش العرب المسلمين.

أما خالد بن الوليد فنراه بعد أن رسخت قدمه في الأُبُله، يجمع أسلاب الحرب ويوطد الحكم وينظم الضرائب وينظر في ظلامات أهل السواد (العراق) من الفلاحين ويقرهم على أراضيهم.

وعلم من المثنى الذي سبق ان أمره بالمحافظة على التماس بفلول جيش العدو المنهزم أن نجدات عظيمة قدمت من المدائن وقد انضمت اليها تلك الفلول، وانها اتخذت موضعاً دفاعياً في المذار، فتقدم بجيشه الى المذار في اوائل صفر سنة 12 للهجرة (آذار سنة 633 ميلادية) في تعبئته التي كان يراعي فيها حماية قوته من المباغتة وسهولة قيامه بالمباغتة والحركة على الجوانب. ولما اقترب من جيش العدو طلب منه قائدهم "قارن" ليبارزه فلبّى خالد طلبه في الوقت الذي تلاقت فيه صفوف الجيشين. أما " قارن "

فقد قُتِل، كما قُتِل قائدا الجناحين وألوف من جندهما حتى أصبحوا لا يستطيعون المقاومة والثبات في صفوفهم، فتركوها مسرعين الى السفن الراسية على شاطئ النهر، والسعيد منهم الذي استطاع النجاة والعبور الى الشاطئ الثاني. أما عدد قتلاهم كان – كما يقول المؤرخ الطبري – ثلاثين ألف مقاتل.

والحقيقة انه لولا السفن التي استطاع قسم من جيشهم أن ينجوا فيها لكانت معركة المذار من معارك الإبادة... أما العرب فلم يستطيعوا اللحاق بالفلول التي عبرت النهر، واكتفوا من هذه المعركة بنصرها الموضعي فقط، مع اعتبارها لؤلؤة في عقد انتصاراتهم...

المراجع

1 – الطبري " تاريخ الطبري " الجزء الرابع. ص 2.

2 – ابن الأثير " تاريخ ابن الأثير " الجزء الثالث. ص 187.

3 – البلاذري " فتوح البلدان " ص 242.

4 – العقيد محمود الدرّة " معارك العرب الكبرى ". منشورات الفاخرية – الرياض – ودار الكاتب العربي – بيروت. د. ت. ص 305 – 311.

5 – محمد ابو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي. " أيام العرب في الاسلام ". المكتبة العصرية. صيدا – بيروت. الطبعة الرابعة 1974. ص 185 – 188.

6 – سيف الدين الكاتب " المثنى بن حارثة الشيباني " (أول فاتح في العراق) – سلسلة مشاهير الفاتحين رقم 3 – دار اقرأ. بيروت. الطبعة الأولى. 1981.

7 – سيف الدين الكاتب " خالد بن الوليد المخزومي " (الفاتح العبقري المظفّر) – سلسلة مشاهير الفاتحين رقم 5 – دار اقرأ. بيروت. الطبعة الأولى 1981.

معركة الكرامة

تعتبر هذه المعركة من كبريات المعارك التي جرت بين القوات الاسرائيلية من جهة والقوات الفلسطينية والأردنية من جهة ثانية عام 1968.

فقد قامت القوات الإسرائيلية في 21 / 3 / 1968 بشن هجوم واسع النطاق على الضفة الشرقية لنهر الأردن في منطقة امتدت من جسر الأمير محمد (دامية) شمالاً حتى جنوبي البحر الميت. وكان هدف الهجوم كما أعلنت (اسرائيل) رسمياً القضاء على مواقع الفدائيين الفلسطينيين في مخيم الكرامة الواقع على بعد 5 كلم من جسر الملك حسين (اللّنبي)، وفي مناطق أخرى إلى الجنوب من البحر الميت.

والواقع أن هذا الهجوم لم يكن مفاجئاً للقوات الفلسطينية في المنطقة ولا للقوات الأردنية. فقد شوهدت تحركات القوات الإسرائيلية قبل العملية بيومين. وأذاع ناطق باسم فتح يوم 19 آذار أن إسرائيل حشدت خلال اليومين السابقين قوات كبيرة على طول نهر الأردن. وفي اليوم نفسه أعلن مندوب الأردن في الأمم المتحدة أن (إسرائيل) تعد العدّة لشن هجوم كبير على الأردن. وقد رافقت هذه التحشدات تهديدات إسرائيلية من قبل المسؤولين، فقال رئيس الحكومة أمام الكنيست " إن الأردن لا يفعل شيئاً لوضع حد لأعمال الفدائيين التي تنطلق من أراضيه، وسنضطر نحن لحماية أمننا ". وذلك خلال كلامه على حادث انفجار لغم تحت عربة نقل ركاب كبيرة جنوبي النّقب. وكرر وزير الدفاع ورئيس الأركان ورئيس المخابرات الإسرائيليون أقوالاً مماثلة.

حشدت (إسرائيل) لتنفيذ العملية، تبعاً للمصادر الأردنية، أربعة ألوية (لواءين موزعين ولواء المظليين 35، ولواء المشاة 80) تدعمها وحدات من المدفعية الميدانية (خمس كتائب مدفعية من عيار 105 و 155 ملم) ووحدات هندسية عسكرية وتغطية جوية بأربعة أسراب نفاثة، بالإضافة إلى عدد من الحوامات كافٍ لنقل كتيبتي مشاة مع معداتهما. وقد بلغ عدد هذه القوات خمسة عشر ألف جندي.

وفي الجانب العربي كانت وحدات رصد فتح تراقب تحركات

وتحشدات القوات المعادية. وتدارست قيادة فتح التدابير الواجب اتخاذها – وعلى الاخص المجابهة أو الإنسحاب من المواقع المستهدفة من قبل العدو لتأتي ضربته في الفراغ – وفقا لمبادئ قتال الحرب الشعبية. وبعد مناقشة الموضوع بعمق قررت " الصمود الواعي " تحقيقاً للأهداف التالية:

1) رفع معنويات الجماهير الفلسطينية والعربية بعد نكسة حزيران 1967.

2) تحطيم معنويات العدو وإنزال أكبر الخسائر في صفوفه.

3) تحقيق الإلتحام الثوري مع الجماهير حتى يصبح الشعب قوة منيعة.

4) زيادة التقارب والثقة بين قوات الثورة الفلسطينية والجيش الأردني.

5) تنمية القوى الثورية داخل صفوف الشعب العربي.

6) إختبار ثقة المقاتلين بأنفسهم في معارك المواجهة المباشرة مع قوات العدو.

وجرى تقسيم قوات المقاومة إلى ثلاثة أقسام: الأول توزع على عدة مراكز في الكرامة نفسها وحولها، ووزّع الثاني بشكل كمائن على امتداد الطرق المحتمل سلوكها من قبل العدو، وانسحب الثالث إلى المرتفعات المشرفة على المنطقة ليكون دعماً واحتياطاً.

من جهة أخرى اتخذت القيادة الأردنية استعداداتها للتصدي للعدوان الوشيك، فوضعت القوات في حالة استنفار وتعبئة انتظاراً للتطورات المتوقعة.

تحركت القوات الإسرائيلية في الساعة الخامسة والنصف من صباح 21 آذار 1968 على أربعة محاور:

1) محور العارضة من جسر الأمير محمد إلى مثلث المصري، فطريق العارضة – السلط الرئيس.

2) محور وادي شعيب من جسر الملك حسين إلى الشونة الجنوبية فالطريق الرئيس المحاذي لوادي شعيب – السلط.

3) محور سويمة من جسر الأمير عبد الله إلى غور الرامة – الناعور فعمان.

4) محور الصافي من جنوب البحر الميت إلى غور الصافي فطريق الكرك الرئيس.

ولكن المعارك الرئيسة دارت فعلاً على المحاور الثلاثة الأولى. حيث عبرت

القوات الإسرائيلية النهر تحت تغطية نيران المدفعية. ولكنها ما كادت تتقدم مسافة 200 م حتى اصطدمت بمقاومة عنيفة أعاقت تحركها، فدفعت بعناصر محمولة بالحوامات أنزلت بعضها في غور الصافي للتمويه والتضليل ومعظمها في الكرامة. فتصدت لها القوات العربية وكبدتها خسائر كثيرة، مما اضطر القيادة الإسرائيلية إلى زج قواتها الجوية بكثافة كبيرة مركزة قصفها على مراكز المدفعية الأردنية ومواقع الفدائيين ومرابض الدبابات والمدافع المضادة للطائرات. وتابعت خلال ذلك الحوامات نقل عناصر إضافية والعودة بالجرحى وجثث القتلى. واستثمرت القوات المدرعة نتائج القصف الجوي والمدفعي المركز لمتابعة تقدمها، فأمكنها في الساعة العاشرة تقريباً الاتصال بالقوات المنزلة جواً في الكرامة. ودارت بينها وبين سرية من الفدائيين معارك دامية بدأت بالبنادق والرمانات اليدوية، ثم بالسلاح الأبيض. وقد خاضت القوات الأردنية أيضاً معارك عنيفة على المحاور الأخرى وأحبطت تقدم العدو ومنعته من تنفيذ مخططاته.

وفي الساعة 14,00 – وكانت خسائر الإسرائيلين قد تزايدت واتضح لهم مدى الثمن الذي سيدفعونه لقاء كل تقدم – إدّعوا أنهم قد أتموا تنفيذ المهمة الموكولة إليهم وبدأوا بالانسحاب. وكانوا قد طلبوا وقف إطلاق النار في الساعة 11,30 بواسطة الجنرال " أودبول " كبير المراقبين الدوليين، ولكن رئيس الحكومة الأردنية رفض الطلب حتى انسحاب القوات الإسرائيلية بكاملها. وقد تمّ انسحاب آخر جندي إسرائيلي في الساعة 20,30. وتكبدت القوات الإسرائيلية خلال انسحابها أيضاً خسائر كبيرة، إذ تعرضت لها الكمائن التي بثتها قيادة المقاومة قبل المعركة.

كان العدوان الإسرائيلي على الكرامة أول مرة تتخطى فيها القوات الإسرائيلية نهر الأردن. فقد توغلت مسافة 10 كلم على جبهة امتدت من الشمال إلى الجنوب نحو 50 كلم. وهي أول عملية على نطاق واسع قادها رئيس الأركان الإسرائيلي الجديد آنذاك (حاييم بارليف). وقد حشدت لها (إسرائيل) قوات كبيرة نسبياً أرادت منها أن تكون درساً رادعاً للفدائيين وللجيش الأردني، وأن تحقق بواسطتها نصراً سريعاً تستغله في رفع معنويات السكان الإسرائيليين التي بدأت تهتز تحت ضربات العمليات الفدائية في الأرض المحتلة.

ولم تكن النتائج كما تتمناها (إسرائيل). فقد اعترف رئيس حكومتها أمام الكنيست يوم 25 آذار " أن الهجوم على الكرامة لم يحل مشكلة الإرهاب ". وقال ناثان بيليد ممثل حزب المابام: " إن على إسرائيل أن تصوغ تكتيكها العسكري وفقاً لأساليب القتال المتبعة عند العدو والظروف السياسية المحيطة ". وطالب شموئيل تامير عضو الكنيست بتشكيل لجنة تحقيق برلمانية للبحث في " التعقيدات السياسية الناجمة عن عملية الكرامة ". وأضاف " إن تخطيط العملية وتنفيذها يثيران أسئلة كثيرة تتطلب الإجابة ". وقد عبّر يوري أفنيري عن فشل العملية بقوله :" إن المفهوم التكتيكي للعملية كان خاطئا من الأساس، وأن النتائج أدت إلى نصر سيكولوجي للعدو الذي كبدنا خسائر كبيرة ".

كانت معركة الكرامة نقطة تحول كبرى بالنسبة لحركة فتح خاصة والمقاومة الفلسطينية عامة. وقد تجلّى ذلك في سيل طلبات التطوع في المقاومة ولا سيما من قبل المثقفين وحملة الشهادات الجامعية. كما تجلّى في التظاهرات الكبرى التي قوبل بها الشهداء في المدن العربية التي دفنوا فيها، والاهتمام المتزايد من قبل الصحافة الأجنبية بالمقاومة الفلسطينية، مما شجّع بعض الشباب الأجانب على التطوع في صفوفها. وقد أعطت معركة الكرامة معنى جديداً للمقاومة تجلى في التظاهرات المؤيدة للعرب والهتافات المعادية التي أطلقتها الجماهير في وجه وزير خارجية (إسرائيل) أبا إيبان أثناء جولته يوم 7 / 5 / 1968 في النرويج والسويد، فقد سمعت ألوف الأصوات تهتف " عاشت فتح ".

على الصعيد العربي كانت معركة الكرامة نوعاً من استرداد جزء من الكرامة التي فقدتها في حزيران 1967 القوات المسلحة العربية التي لم تتح لها فرصة القتال. ففي معركة الكرامة أخفقت (إسرائيل) في تحقيق أهدافها العسكرية والاستراتيجية لرفع معنويات الإسرائيليين، بل ساهمت في زيادة خوفهم وانعزالهم.

بلغت خسائر الاسرائيليين 70 قتيلاً وأكثر من 100 جريح، و45 دبابة و 25 عربة مجنزرة و 27 آلية مختلفة و5 طائرات.

وخسر الجانب الفلسطيني 17 شهيداً. وأما الأردنيون فقد خسروا 20 شهيداً و 65 جريحاً بينهم عدد من الضباط و 10 دبابات و 10 آليات مختلفة ومدفعين. كما دمّر

الاسرائيليون عدداً من المنازل وأخـذوا معهم 147 عربيـاً مـن الفلاحيـن بحجـة أنهـم مـن الفدائيين.

المراجع

1 - مؤسسة الدراسات الفلسطينية: الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام 1968. بيروت 1971.

2 - اليوميات الفلسطينية: المجلد 7 بيروت 1986.

3 - مجلة شؤون فلسطينية: العدد 7، آذار 1972.

4 - تقرير القيادة الأردنية حول المعركة.

5 - الموسوعة الفلسطينية: الجزء الثالث. ص: 636 - 638، بإشراف د. أنيس صايغ. الطبعة الأولى، دمشق 1984.

معركـة كفار عصيون

عندما أدرك العرب في فلسـطين وجوارهـا، مـا تبيتـه الحركـة الصهيونيـة ضدهـم وضد أرضهم وممتلكاتهم، وضعوا أمام أعينهم قول أبي الطيب المتنبي الشهير:

واذا لم يكن من الموت بدٌّ فمن العار أن تموت جبانا

وعلى هذا الأساس، استأسد الشعب العربي في فلسطين ضـد أعدائـه الصهيونيين، شذّاذ الآفـاق ومغتصبـي الأرض والوطـن، وبدأ بتنظيم نفسـه استعداداً لصـون الكرامـة والدفاع عن الوجود والمصير. وقد أثبت هذا الشـعب فـي اكثر معاركـه قبل قيام " دولـة اسرائيل " بأنه جدير بالحفاظ على الحق مهما كانت التضحيـات. ولـم تكـن معركـة " كفـار عصيـون " التـي جرت بتـاريخ 27 آذار 1948، بيـن العـرب والصهيونيـين إلا إحـدى العلامات المضيئة في تاريخ الصراع العربي – الصهيوني.

ففي 27 آذار 1948، وبعد معركة " شـعفاط " الظـافرة بأيـام ثلاثـة، علـم العـرب بمرور قافلة يهودية تحت جنح الليل، إلى كفار عصيون، ناقلة المؤن إلى هـذه المسـتعمرة، التي كان يطوقها العـرب والمسـتعمرات اليهوديـة الأخـرى المجـاورة لهـا. وكـانت القافلـة مؤلفة من مئتين وخمسين رجـلاً مـن رجـال منظمـة الهاغانـاه الارهابيـة جـاؤوا فـي أربـع وخمسين سيارة يهودية بحراسة أربع مصفحات، فاعتزم العرب مهاجمتها.

ومن أجل ذلك، عمدوا الى زرع الألغام، وأقاموا الحواجز على الطريق في سـبعة عشر موضعاً، وراحوا يرقبون رجـوع القافلـة. ووقـف جماعـة مـن " بيـت فجـار " عنـد " وادي البيـار " يحولـون دون وصـول النجـدات اليهوديـة الـى القافلـة مـن المسـتعمرات المجاورة. وكان عدد المجاهدين في بـادئ الأمـر قليـلاً، ثـم ازداد فـأصبح مئتيـن. ومـا ان أطلت القافلة عليهم، عند الموقع المعـروف بــ " الدهيشـة " القريبـة مـن " بـرك سـليمان "، وكانت الشمس على وشك الشـروق حتـى هاجموهـا بنيران شـديدة مـن أسـلحتهم الخفيفـة، فسقط عدد من رجالها قتلى، وجرح آخرون. وانفجرت في الوقت نفسه، بعض الألغام التي بثّـهـا المـناضلون، فنسفت المـصـفـحـة الأمـامـيـة ثم دمرت سيارتين. ولجأ زهاء مئة من

رجال القافلة الى بيت عربي قريب من الطريق، وكان أهله قد هجروه قبل مرور القافلة، فحاصرهم العرب، كما وقعت البقية الباقية من سيارات القافلة في الفخ. وما كاد الليل يهبط، حتى كانت القافلة كلها قد أشرفت على الهلاك: لا زاد، ولا ماء، وراح الناس ينسلّون من كل حدب وصوب، فبلغ عددهم ألفاً، وقيل أن المناضلين الذين اشتركوا في القتال لم يتعدّوا الخمسمائة، وقد كانوا في بدء المعركة خمسين.

وفي ساعة مبكرة من صبيحة اليوم التالي (الأحد 28 آذار 1948) حلّقت في سماء المعركة طائرة يهودية تحمل الذخائر والمؤن الى المحاصرين، ثم تبعتها ثلاث طائرات، وألقت هذه الطائرات حمولتها، ولكنها اخطأت الهدف. فلم يصل اليهود منها إلا النزر اليسير الذي لا يسمن ولا يغني من جوع، وسقط معظمها في يد العرب، فأكلوه في حين كان معظم زادهم قد نفذ. وهوت احدى الطائرات الى الأرض فتحطمت وقتل قائدها.

ويظهر أن تحليق الطائرات في الجوّ قوّى معنويات اليهود المحاصرين فراحوا يطلقون النار بكثرة، فقابلهم الثوار العرب بنار مثلها فأسكتوهم. واستنجد رجال القافلة بالوكالة اليهودية فاستغاثت بالحكومة البريطانية، فخفّ عدد من الجند لنجدتهم، وكانوا مزودين بالمدافع، إلا أن العرب قابلوهم بالرصاص، وقيل أنهم أعطبوا مصفحتين. وجاء المناضلون الذين كانوا يرابطون عند مار الياس، بقصد المساندة ومنع النجدات اليهودية، فانضموا الى إخوانهم، وأنذر الجميع الجند ألا يتقدموا، لأن الطريق ملغومة وقالوا أنهم سيقاتلونهم، إذا هم لم ينصاعوا للانذار، فرضخوا ولم يتقدموا. شعر العرب عندها بنشوة النصر، وراحوا يضيقون الخناق على اليهود المحاصرين، في الوقت الذي رفض فيه هؤلاء الاستسلام، واستنجدوا بالحكومة مرة أخرى، فبعث حاكم اللواء المستر " بولاق " رسالة إلى السيد عارف العارف، أحد المناضلين الفلسطينيين البارزين، وقد حملها اليه رسوله المستر براون، طالباً منه أن يتصل بالمناضل عبد القادر الحسيني الذي اتخذ مقّره في " بير زيت "، وأن يرجوه إيقاف القتال. لكن عارف العارف لم يجد الحسيني، فاتصل بنائبه كامل عريقات، الذي كان في الميدان، ويظهر ان هذا التوسط جرى عن طرق أخرى. وبعد البحث اشترط عريقات، لإيقاف القتال، أن يسلم اليهود للعرب كل ما لديهم

من أسلحة وأعتدة، واشترطت الهيئة العربية العليا أيضاً مثل هذا الشرط، وكانت المفاوضات دائرة بينها وبين رجال الأمن.

ولم ير اليهود بدأ من التسليم، فأخبروا العرب أنهم يقبلون الشروط التي أملوها. وقد أخبروهم ذلك بوساطة المستر " سمر فيل " مساعد حاكم لواء القدس، وكان يومئذ يراقب المعركة من بيت لحم فرفع العرب الحصار، بعد أن دام ستاً وثلاثين ساعة، وانتهى القتال في الساعة الخامسة من بعد ظهر اليوم التالي (28 آذار)، وتسلم العرب اسلحة اليهود، وكان بعضها قد أعطب عن قصد قبل التسليم، والبعض الآخر كان في حالة صالحة للاستعمال. وكانت غنائم العرب ثلاث مصفحات، وثمانية باصات كبيرة، وثلاثين سيارة للشحن، وثلاثين بندقية من طراز ستنّ، وأربعين بندقية من طراز برنّ، ومئة من البنادق الاعتيادية بين انكليزيه والمانية، وعدداً من القنابل والمسدسات، وطناً ونصف الطن من ملح البارود والمتفجرات ومقادير كبيرة من الأعتدة والذخائر، اقتسمها المناضلون من أبناء الخليل والقدس وبيت لحم وبيت جالا وعرب التعامرة والعبيديين ومن أبناء بيت فجار وبيت أمر وحلحول. أما البقية الباقية من سيارات القافلة، وعددها أربعة عشر، فقد التهمتها النيران، وقتل من اليهود في هذه المعركة خلق كثير وجرح كثيرون. وفي بيان يهودي ذكر أن قتلاهم خمسة عشر، والجرحى خمسون، وتسلمت الحكومة 159 يهودياً نقلتهم في سياراتها الى منازلهم، وكان بين المنقولين 24 جريحاً. وكانت الجمعية الطبية العربية، قبل انتهاء المفاوضات، قد نقلت في سياراتها 35 جريحاً يهودياً، سلّمتهم إلى المستشفيات اليهودية بالقدس. وأما النساء اليهوديات اللواتي كنّ في كفار عصيون، وعددهن ست وثمانون، فقد بقين في بيت لحم ولم يمسهنّ أحد باذى، ومكثن هناك مدة قصيرة من الزمن، ثم أرجعن الى منازلهن. وقتل في هذه المعركة اثنا عشر عربياً وجرح ثلاثة.

هذا ما جرى لكفار عصيون في 27 آذار 1948. وبه يكون العرب قد انتقموا لأنفسهم من هذه المستعمرة التي كبّدتهم أربعة عشر قتيلاً، وأربعة وعشرين جريحاً، يوم هاجموها بعدد كبير من مقاتليهم (في 14 كانون الثاني 1948) " فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم، واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتّقين ".

ولئن تمكن العرب يومئذ من احتلال بعض المواضع اليهودية، إلا أنهم عادوا وخرجوا منها. وجرى قتال بين الفريقين في 10 أيار / مايو دام 39 ساعة، قتل فيه (11) يهودياً وجرح (27)، ولكن العرب لم يتمكنوا من احتلال كفار عصيون والمستعمرات اليهودية الأخرى المجاورة لها إلا في 14 أيار 1948، أي قبل ساعات قليلة من اعلان ولادة " دولة اسرائيل ".

وفيما كان سكان جبل القدس يرقصون طويلاً للانتصار الذي نالوه في الدهشة، أتاهم نبأ الانتصار الذي ناله اخوانهم في الخليل، حيث قتل المجاهدون اثنين وأربعين شخصاً من رجال منظمة الهاغاناه الارهابية، على مقربة من " يهيام "، وحطموا خمسة من باصاتهم المصفحة، ومعظم المقتولين من سكان نهاريا.

هذا واذا كان الثوار العرب قد أحرزوا كثيراً من الانتصارات في مثل هذه المعارك الظافرة ضد الصهيونيين قبل ولادة " إسرائيل "، الا أن خيانة بعض الحكام والأنظمة العربية ساهمت مساهمة كبيرة في خلق " اسرائيل " ومحو هذه الانتصارات من قاموسها، حيث أن ابقاءها (الانتصارات) هو خطر عظيم يهدد هذه الانظمة ذاتها.

وما وصلت إليه الحالة العربية اليوم، يمثل انعكاساً لتلك الحالة المأساوية في نهاية الأربعينات.

المراجع

1 - عارف العارف في كتابه الشهير " النكبة ". الجزء الأول. المكتبة العصرية. صيدا - بيروت. ص 141 - 144.

2 - مجلة " فلسطين " (نشرة دورية تشرف عليها " الهيئة العربية العليا لفلسطين "). العدد 150. السنة الثالثة عشرة. شهر أيلول 1973. ص 26 - 28.

3 - الموسوعة الفلسطينية / اشراف د. أنيس صايغ /. دمشق 1984. الجزء الثالث.

معركــة الكفر

(21 تموز / يوليو 1925)

هي إحدى معارك الثورة السورية الكبرى عـام 1925 ضدّ الاستعمار الفرنسي، ومن أبرز الانتصارات التي أحرزها الثوار ضدّ جيش الاحتلال... وإذا كانت الثورة السورية الكبرى عقداً من اللؤلؤ والماس، فان معركة الكفر – ولا شك – هي الحبّة الأولى من هذا العقد... وبقدر ما تمثل " سورة الفاتحة " فاتحة كتاب الله العزيز – القرآن الكريم، فان معركة الكفر هي ذاتها " سورة الفاتحة " في سفر الثورة السورية الكبرى وكتابها المأثرة.

فبتاريخ 20 تموز / يوليو 1925 خرج الكابتان نورمان من السويداء في مئة وستة وستّين رجلاً وستّة ضباط: الكابتان نورمان ذاته، والليوتنان هلم غيزون ومئة وأحد عشر رجلاً من الفرقة السورية (من فيلق الفرقة السورية الثاني)، والكابتان ماي والليوتنان كاريار وأربعة وخمسون صباحياً (من فيلق الصباحيين المراكشيين الثاني عشر) إضافة الى طبيب أركان الحرب فورنيه، وضابط مترجم من الدرجة الثانية جوزف صايغ، فضلاً عن ضابط وثمانية جنود من فرسان الدروز – كما يشير الكتاب الذهبي لجيوش الشرق الذي وضعه المكتب الطوبوغرافي الفرنسي لجيوش الشرق –. إلا أن هذا الرقم ليس صحيحاً على ما يبدو. وكان لهذا الجيش مهمات ثلاث: الأولى: أن يُشْعر بوجود القوات في المنطقة الجنوبية، وتهدئة روع أنصار الفرنسيين، والثانية: ان يعمل على إنقاذ الطيارَين اللذين سقطا بطائراتهما في امتان، والثالثة: القبض على سلطان باشا الأطرش.

وصلت القوة الى قرية الكفر في صباح ذلك اليوم، ثم لحقها آمر اللواء تومي مارتان رئيس مصلحة الاستخبارات في دولتي سورية وجبل الدروز، وحاكم جبل الدروز بالوكالة. وهناك علم مارتان ان سلطان الأطرش هبط صلخد في الصباح نفسه.

أقام الكابتان نورمان مضارب الجيش على مقربة من الكفر، ثم نقلها بعد الظهيرة الى مرتفع قريب من الأرض يَفْضُل الموقع الأول ويشارف السهل قليلاً. ويؤكد

المصدر الفرنسي (الكتاب الذهبي لجيوش الشرق) أن حظ نورمان كان سّيئاً بالقول: وشاء نكد الطالع ان يخطئ نورمان، فبدلاً من ان يحصر قوته في نطاق مربع حصين، فقد بثّها على ثلاثة أو أربعة أماكن تفصلها جدران من الحجارة مختلفة المستوى والارتفعات. فكان هناك مكان للصباحيين، ومكان لرجال الفرقة السورية، ومكان للضباط، ومكان لأركان قيادة الكابتان نورمان، والذخائر والبغال.

وكان دخول سلطان الأطرش الى صلخد دافعاً للقومندان تومي مارتان أن يطلب النجدات برقياً مساء العشرين من تموز / يوليو. وقد تجدّد وصول النجدات في السادس والعشرين من الشهر، على ان القائد الفرنسي ألحّ بوجوب إرسالها في القطار الحديدي على جناح السرعة عن طريق درعا، وطلب ان ينطلق سرب من الطائرات في الغد لاستكشاف صلخد، وقرر أن يتوقف جيش نورمان عن الزحف ويلبث مكانه الى اليوم الثاني والعشرين بانتظار النجدات المطلوبة.

وفي اليوم التالي، حلقت طائرة الكابتان دي بويسون فوق قرى الجنوب، وأشرفت على الكفر، فلم يستوقفها ما يستدعي الانتباه ثم هبطت السويداء عند الساعة العاشرة والدقيقة الثلاثين. وفي الساعة الرابعة عشرة والدقيقة الثلاثين ترامى الى السويداء أن الثوار هاجموا جيش نورمان مهاجمة عنيفة. فوجّه القومندان تومي مارتان على الفور ثلاث مصفحات رشاشة ومفرزة من الصباحيين لحماية الجيش المذكور عند ارتداده إذا ما دعت الضرورة، ورغب في دبّ الذعر في النفوس، فأمر الكابتان دي بويسون ان يحلّق بطائرته مرة أخرى فوق الكفر.

هذا، وبينما تشير المصادر الفرنسية إلى أن رجال سلطان " كانوا مئتي فارس وخمسمائة راجل "، فان المصادر العربية – والدرزية خاصة – تشير إلى أن عدد الرجال مع سلطان لا يتجاوز اكثر من مئتي وخمسين مقاتلاً بين خيالة ومشاة، قاموا يوم 20 تموز / يوليو بالدنوّ من حملة " نورمان " ونزلوا مساءً على ماء " عرى " القريبة ينابيعها من قرية " عرى " مقر الامارة في الجبل، وهيأوا طعامهم وعلف خيلهم على الماء، وباتوا يتداولون في الخطة التي يجب اتباعها للقضاء على الحملة الفرنسية. فكان رأي الأكثرية الزحف – كما يشير منير الريّس – ومهاجمة الحملة في مواقعها دون

انتظار، لكن سلطان الأطرش كان حريصاً على ان تبقى حماسة اخوانه شديدة، شريطة ألا يجر الى معركة لا يكتب له فيها النصر، فأي هزيمة تلحق بالدروز في المعركة الأولى تكون عواقبها وخيمة على جبل الدروز كله، بل على سوريا التي يعرف ان أحرارها يترقبون أنباء الثورة التي ظهرت بوادرها في جبل الدروز، وعلى نتائج المعركة الأولى يتوقف اندفاع الدروز جميعاً في تأييد الثورة التي عزم على أن يخوض غمارها، ويكون رمزها وقائدها. وقد أصبح القوم على ماء " عرى "، ولما يستقر لهم رأي على خطة، فالحملة لم تتزحزح من مواقعها لمطاردتهم على الرغم من قربهم منها، ووصول أخبارهم لقائدها. ولما توسطت الشمس كبد السماء من يوم 21 تموز / يوليو 1925، ولم توافهم الحملة المكلفة بمطاردتهم، هبّوا يهزجون بحماسة، حتى بلغ حداؤهم عنان السماء، واندفعوا في الطريق إلى الكفر، وسلطان يخبّ بجواده بينهم، يريد أن يثنيهم عن فكرة الهجوم على الحملة المتحصّنة في موقعها المرتفع من الكرمة، خشية أن تحصدهم بنيرانها الكثيرة، على وضح النهار، وفي وقت الظهيرة، حيث ان سلاح الثوار، كان البنادق، بينما الحملة مجهزة برشاشات ثقيلة وخفيفة، وقاذفات القنابل، فضلاً عن البنادق، لكن أنّى له أن يوقف الزحف، وقد بلغت الحماسة باخوانه حداً جعل المشاة يسبقون الفرسان في جريهم نحو الهدف. ولم تأزف الساعة النصف بعد الثانية ظهراً، وهو وقت القيلولة، وأبعد ما يكون عن تفكير قادة الحملة الفرنسيين في هجوم الدروز، حتى بلغت سريّة المجاهدين الكرم، واندفعت من جوانبه كلها، بغارة مفاجئة على المعسكر، لم يثنها رصاص الخفراء، ولا رصاص الرشاشات التي أخذت تطلق النار على المهاجمين، فسقط من سقط من الشهداء، بينهم مصطفى الأطرش شقيق سلطان الذي رأى سقوط أخيه برصاص العدو، واقتحم بجواده الكرم، وتعدّى جدرانه قفزاً، واختلط الدروز بالجنود، وبدأوا يصرعونهم بسيوفهم وخناجرهم ورصاصهم، في مدة لا تتجاوز النصف ساعة، أجهزوا على الحملة في حصنها، حيث لم يتسنّ لبعض الثوار الاشتراك فيها.

وهكذا كانت نتيجة معركة الكفر إبادة حملة نورمان، لم يرجع منها بين الضباط السبعة والمئة وسبعة وستين رجلاً إلا:

- جنديّين برتبة سرجان / عريف و 47 من جنود الفرقة السورية (منهم

13 جريحاً).

– معاون الضابط الخيال الفرنسي دوكار و 17 صباحياً (منهم 6 جرحى).

– جندي من الرماة من جيش أفريقيا الشمالية (جريح).

– أما الباقون وهم سبعة ضباط (فيهم ضابط سوري) و 26 جندياً من الفرقة السورية (فيهم 6 فرنسيون) و 36 صباحياً (فيهم ثمانية فرنسيون وسائق سيارة فرنسي) فقد قتلوا كلهم، باعتراف الفرنسيين أنفسهم.

ولم يكد المهزومون من الكفر يصلون الى السويداء يحملون أنباء المجزرة، حتى دبّ الرعب في قلوب الفرنسيين فيها وانتقل ضباطهم وموظفوهم بعائلاتهم إلى القلعة يحاصرون فيها، لأنهم أدركوا أن نبأ الهزيمة سيثير الجبل كله ضدّهم، حتى المترددين وضعاف النفوس ستجرفهم الثورة بأنباء ظفرها الحاسم في أول معركة نشبت بينهم وبين الدروز... وهكذا كان...

أما خسائر الدروز فكانت أربعة وخمسين شهيداً، من بينهم مصطفى الأطرش الذي كانت إصابته دافعاً لأخيه سلطان الى القيام بمزيد من البطولة والإقدام، وقد اعتبر أخاه واحداً من الشهداء، ومحبة الوطن أكبر من محبة العائلة، وحقه فوق حقها، والاهتمام بالأحياء أهم بكثير من الاهتمام بالأموات مع ما لهم من الفضل والتقدير، والنظرة الى المستقبل أفضل من التطلع إلى الماضي، ونقطة دم في سبيل الاستقلال أجدى من آلاف الدمعات على الشهداء الأبرار.

المراجع

1 – منير الريّس " الكتاب الذهبي للثورات الوطنية في المشرق العربي – الثورة السورية الكبرى ". دار الطليعة. بيروت. الطبعة الأولى 1969. ص 165 – 167.

2 – المكتب الطوبوغرافي لجيوش الشرق " الكتاب الذهبي لجيوش الشرق 1918 – 1936 ". نقله إلى العربية أدوار البستاني. المطبعة الكاثوليكية. بيروت 1939. ص 137 – 141.

3 – سلامة عبيد " الثورة السورية الكبرى 1925 – 1927، على ضوء وثائق لم تنشر ". بيروت. دار الغد 1971. ص 126 – 130.

4 – حسن أمين البعيني " سلطان باشا الأطرش – مسيرة قائد في تاريخ أمة ". منشورات لجنة الاعلام / الادارة المدنية في الجبل / بيت الدين. الطبعة الأولى. آذار / مارس 1985. ص 122 – 126.

5 – فارس زرزور " البطولات – معارك الحرية في سوريا ". الطبعة الثانية 1971. ص 215 – 217.

6 – د. عباس أبو صالح و د. سامي مكارم " تاريخ الموحدين الدروز السياسي في المشرق العربي ". منشورات المجلس الدرزي للبحوث والإنماء. بيروت 1980. ص 326.

معركة لبدة

" لبدة " مدينة أثرية الى الشرق من الخمس بطرابلس الغرب. وقد شهدت هذه المنطقة عدة مناوشات واشتباكات، منذ نزول القوات الايطالية بالخمس، وكانت إحدى المواقع الدفاعية الهامة التي ظلت طوال تلك الفترة، تثير المضايقات في وجه العدو، الذي لم تفلح مدفعيته وسفنه الحربية، في التأثير على وضع المجاهدين، نظرا لما كانت توفره الكثبان الرملية، من التغطية التي تجعلهم بمنحى من القصف المدفعي. وبعد المعارك الطاحنة التي جرت بمنطقة (المرقب) تركزت المقاومة قرب أطلال " لبدة "، و " رأس الحمّام "، وظلت قوات العدو تتحين الفرص للسيطرة على هذا الموقع الهام، لتأمين مواقعها الدفاعية، ومحاولة لتوسيع المجال المحدود الذي ظلت تعمل في نطاقه، منذ نزولها إلى الخمس. وكانت تشعر أن ذلك، لا يمكن أن يتم لها، إلا إذا تمكنت من التحكم في هذين الموقعين الهامين. وأخذت تخطط لهذه العملية، وتستعد لها، بحشد القوة اللازمة، ودعم القطع البحرية العاملة في مياه الخمس، والتي وفّرت لهم في كل المعارك السابقة التغطية البحرية التي كان لها اكبر الأثر في سيطرتهم النهائية على الموقف، والتفوق على قوة المجاهدين المحدودة التي لم تكن تتوفر على مثل هذه القوة.

وفي يوم 2 مايو / أيار 1912، تحركت قوة ايطالية كبيرة، تزيد على أربعة آلاف مسلح، في ثلاث تشكيلات تحت قيادة مجموعة من كبار ضباطهم في المنطقة، ووضعت الخطة على أساس قيام إحدى التشكيلات بالهجوم الأمامي، على مواقع المجاهدين في أطلال " لبدة "، ثم تتجه تشكيلة أخرى نحو منطقة " رأس الحمام " في محاولة السيطرة على الموقع، والقيام بعملية التفاف تؤدي إلى محاصرة المجاهدين، ودفعهم نحو الساحل، حيث يتم تطويقهم من قبل كافة التشكيلات، وقد أتبعت التشكيلة الثانية بقوة احتياطية، كما كُلفت حامية المرقب بمراقبة الوضع، وشغل المجاهدين المرابطين في تلك المنطقة، عن الالتحاق بالقطاع الرئيس للقتال، وقامت قطع الاسطول بتوفير الغطاء البحري، وضرب مواقع المجاهدين. وتتبين ضخامة هذا الحشد، بمقارنته بعدد المجاهدين الذي تقدره

المخابرات العسكرية الايطالية بما لا يزيد على 250 جنديا نظاميا و 1300 من المجاهدين. وقد دارت معركة عنيفة، بدأت عند الخامسة صباحاً واستمرت حتى الساعة الثامنة تقريبا، اضطر المجاهدون على أثرها إلى التحول عن مواقعهم، في " رأس الحمام ولبدة "، مفوتين في ذلك خطة التطويق التي قام عليها الهجوم الايطالي. وقد دعا المجاهدون في الليلة التالية، إلى الهجوم على المواقع المحتلة، كما ظلوا يثيرون المضايقات المستمرة.

وتعتبر معركة " لبدة " أو (هضاب لبدة)، كما تسمى في بعض الوثائق الايطالية، واحدة من سلسلة المعارك الهامة التي جرت في منطقة المرقب والخمس، والتي سجل فيها المجاهدون صوراً رائعة من البطولة والمقاومة.

المراجع

1 – خليفة محمد التليسي " معجم معارك الجهاد ". ص 449 – 450.

2 – مصطفى حامد رحومة " المقاومة الليبية التركية ضد الغزو الايطالي ". منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي. ليبيا 1988. ص 191 – 201.

معركـة اللسّانة - 888 هـ -

هي إحدى المعارك الهامة في تـاريخ الصـراع العربـي - الإسـلامي فـي الأندلس والنصارى في بلاد الروم. وقد جرت أحداث هذه المعركة في ربيع الثاني عـام 888 هـ، عندما خرج الأمير أبو عبد الله بن محمد بن علي بأهل غرناطة وما حولها مـن الحصـون والقرى إلى بلاد الروم. فبينما هم في أرض " اللسّانة " (*) راجعون بالغنيمة إذ خرج عليهم جمع مـن النصـارى ليس بـالكثير فـانهزم المسلمون أمـامهم، وتبعهم النصـارى يقتلونهـم ويأسرونهم حتى لحقوا الأمير محمـد بـن علـي، فدخـل فـي غمـار النـاس، واختفـى بينهم، وجعل واحد من النصـارى، وكانت هزيمة شنيعة قتل فيها خلق كثير، يقـاتل مـع المقـاتلين حتىأُسر مع من أسر من المسلمين، ولم يعرفه، وأسر آخـرون، واسـتولى النصـارى علـى كثير من الخيل والسلاح والدواب والمتاع.

وأشنع ما فيها كان أسر الأمير أبي عبد الله ين محمد بن علي، لأنه كان سبباً فـي هلاك الوطن.

فجمع النصارى كـل مـا أخـذوه مـن المسلمين مـن أسـارى وأمتعـة، وحملـوه إلـى حصن اللسّانة، ولم يعرفوا الأمير حتى عُرّفوا به، فـأخرجوه مـن بيـن الأسـرى، وعظمـوه وكرموه، وحملوه إلى صاحب قشتالة، فعظّمه وأكرمه، وعلم أن به يصل إلى ما يؤمله من أخذ بلاد الأندلس.

ثم عاد مُلْك غرناطة إلى الأمير أبي الحسن علي بن سعد، إلا أن الفتنـة لـم تنقطـع ولم تخمد نارها. وكان الأمير أبو الحسـن قـد أصابـه مـرض شـبه الصـرع، وأصيـب فـي بصره، وأصابه خدر في جسمه، وعاقبه الله تعالى بأنواع من البـلاء. وعُـزل عـن المُلْك، وحُمل إلى مدينة " المُنكّب " (**) . فأقام فيها حتى مات، واسـتولى علـى المُلْك بعـده أخـوه محمد بن سعد. ومع ذلك فقد استطال العدو على بلاد الأندلس، وقوي طمعه فيها.

(*) - اللسّانة هي بلدة Lucina، كانت في أيام دولة غرناطة بلدة صغيرة حصينة وهي إلى

الجنوب الشرقي من مدينة قرطبة، وتقع اليوم – كما في نهاية الأندلس – في نطاق ولاية قرطبة.

(**) – المنكّب هي بلدة Almunecar اليوم، ويبدو أنه اسم عربي بمعنى الحصن المرتفع.

* * *

المرجع

– كتاب " آخر أيام غرناطة " لمؤلف اندلسي (من رجال القرن التاسع الهجري معاصر لسقوط غرناطة). حققه وقدم له د. محمد رضوان الداية. دار حسان. دمشق. طبعة أولى 1984. ص 65 – 68.

معركة لوشة - 887 هـ -

هي إحدى المعارك الهامة في تاريخ الصراع بين العرب المسلمين في الأندلس وملك قشتالة. وقد جرت هذه المعركة في 27 جمادى الأولى 887 هـ. حيث خرج صاحب قشتالة بمحلة (بحملة)، وقصد مدينة لوشة (*) فنزل عليها بمحلته (بحملته)، وكان قد اجتمع فيها جملة من نجدة رجال غرناطة حين سمعوا بخروجه إليها. فلما قرب من البلد خرج إليه الرجال والفرسان فقاتلوه قتالاً شديداً وردّوه على أعقابه، وقتلوا كثيراً من النصارى وأخذوا لهم في تلك المدة التي قربوا بها من الأنفاط (**) وغير ذلك من عدة الحرب.

ثم إن الأمير أبا الحسن أمدّهم بقائد من غرناطة يقود جيشاً من الفرسان في تلك الليلة، فاشتدت عند ذلك غضبة المسلمين وقويت قلوبهم.

فلما أصبح الصباح، ورأى النصارى الزيادة في جيش المسلمين مع ما نالهم من أول الليل من الهزيمة والقتل، وأخذ العدة، داخلهم الرعب، واشتد خوفهم، فأخذوا في الارتحال عنهم، ففرح المسلمون وقاتلوهم قتالاً شديداً، فانهزم النصارى، وتركوا كثيراً من أخبيتهم وأمتعتهم وأطعمتهم، وآلة حربهم، وتركوا من الدقيق شيئاً كثيراً. فاحتوى المسلمون على جميع ذلك كله، وانهزم العدو مفلولاً إلى بلده، ففرح المسلمون بذلك فرحاً عظيماً. وكان ذلك في السابع والعشرين من جمادى الأولى من عام سبعة وثمانين وثمان مائة.

وبينما المسلمون كذلك بين حرب وصلح إذ بصاحب قشتالة قد أقبل بمحلته (بحملته) على مدينة لوشة، فنزلها الأمير محمد بن علي ومعه جماعة من أهل نجدة البيازين حين سمعوا بقدوم النصارى عليها، تحصنوا بها مع أميرهم محمد بن علي المذكور، فحاصرها العدو حصاراً شديداً، ونصب عليها أنفاطه وعدّته، واقترب إليها بجيشه وآلة حربه، حتى دخلوا ربضها، وهدموا بعض أسوارها بالأنفاط. وقتل كثير من نجدة الرجال، واشتد عليهم الحصار. فلما رأى أهل لوشة ما لا طاقة لهم به من شدة

الحصار، وكثرة جموع النصارى، وتأخير أهل غرناطة عن نصرتهم، طلبوا الأمان، واتفقوا على أن يخرجوا مؤمّنين بأموالهم وأولادهم، وخيلهم وسلاحهم، ودوابهم، وجميع ما يقدرون على حمله، فأجابهم العدو لذلك. ووفى لهم به، فأخذوا في إخلاء البلاد، ووصلوا إلى غرناطة بما معهم.

وكان استيلاء العدو على مدينة لوشة في السادس والعشرين من جمادى الأولى من عام إحدى وتسعين وثمان مئة (891 هـ).

ولم يسرّح صاحب قشتالة الأمير محمد بن علي، بل حبسه عنده ليستأصل به بقية الأندلس.

(*) – لوشة هي اليوم تدعى " Laja " تقع في الجنوب الغربي من غرناطة على نحو ثلاثين ميلاً (50 كلم) على الطريق الواصل بين غرناطة وإشبيلية. وكانت مدينة هامة في أيام دولة بني نصر في غرناطة.

(**) استعملت كلمة (الأنفاط) في القرن الثامن وما بعده في الأندلس والمغرب لمعنى (البارود)، وكانت من قبل تستعمل لمعنى: " المواد الملتهبة الحارقة التي كانت تلقى على الأبراج والحصون، والسفن لإحراقها ".

* * *

المرجع

– كتاب " آخر أيام غرناطة " لمؤلف أندلسي (من رجال القرن التاسع الهجري معاصر لسقوط غرناطة). حققه وقدّم له الدكتور محمد رضوان الداية. (دراسات أندلسية رقم 12). دار حسّان للطباعة والنشر. دمشق. الطبعة الأولى 1984. ص 57 – 60 و 79 – 80.

حرفا " الميم " و " النون "

(م) و (ن)

1 – الماصيون

2 – المالكية

3 – محروقة

4 – المذار (راجع معركة " الكاظمة " أو " ذات السلاسل ")

5 – المرقب

6 – المزرعة

7 – المسيفرة

8 – المصنْزارة

9 – مُكْلين

10 – ميسلون

11 – ميناء الاسكندرية

12 – الناصرة

13 – النبي يوشع

14 – النبي يعقوب

15 – نهاوند

16 – نور شمس (راجع معارك ثورة 1936 في فلسطين).

معركـة الماصيـون

تسلل حوالي عشرين صهيونياً من مستعمرة عطاروت الواقعة جنوبي مدينة رام الله في الساعات الأولى من صباح 1 / 3 / 1948، وعبروا السهل الكائن شمالي قرية رافات العربية وكمنوا لسيارة نقل ركاب متجهة نحو رام الله عند نقطة قريبة من الطريق التي تربط رام الله بباب الواد. وكانوا قد كمنوا للسيارة نفسها قبل أسبوع وقتلوا ثلاثة من ركابها.

عند وصول السيارة إلى الكمين قذفها الصهيونيون بالقنابل اليدوية، ثم صبّوا عليها نيران أسلحتهم، ولكنهم لم يصيبوا أحداً من ركابها. ثم انسحبوا بعد ذلك عائدين عن طريق وادي الدير الفاصل بين بيتونيا ورام الله خشية تعرض سكان رافات العربية لهم. وبينما هم يتسلقون مع الفجر سفح تل الماصيون القريب من رام الله، تصدى لهم عدد من أبناء رام الله والبيرة الذين خفّوا إلى نجدة ركاب السيارة فور سماعهم الخبر. ونشبت بين الطرفين معركة تمكن العرب فيها من قتل خمسة من الصهيونيين وفرّ الباقون باتجاه وادي الماصيون فطاردهم المناضلون. وفي هذه الأثناء وصل إلى مكان الحادث عدد كبير من العرب من قرى الجيب وبيتونيا ورافات وجديرة فحاصروا الصهيونيين الفارين وقتلوا ستة منهم ورفع الباقون ايديهم يعلنون استسلامهم. ولما اقترب منهم المناضلون قذفوهم بقنبلة يدوية، ففتح المناضلون النار عليهم وقتلوهم جميعاً.

وقد تمّ تسليم جثث القتلى إلى القوات البريطانية التي وصلت بمصفحة إلى مكان الحادث. وتبين أن خمسة من القتلى هم من موظفي مصلحة البريد حصلوا على إجازة من رؤسائهم بالتغيب ذلك اليوم. وهكذا انتهت معركة الماصيون بالقضاء الكامل على مجموعة الكمين الغادر.

المراجع

1 – عارف العارف: النكبة، بيروت 1956.

2 – الموسوعة الفلسطينية: الجزء الرابع ص: 70 – 71. إشراف د. أنيس صايغ. الطبعة الأولى، دمشق 1984.

معركـة المالكية

المالكيـة قريـة تقـع شـمال مدينـة صفـد، علـى بعـد نصـف كيلـو متـر مـن الحـدود الفلسطينية – اللبنانية، وكانت حتى عام 1923 تابعة للبنان.

نصّت الخطـة التـي وضعتهـا القيـادة العربيـة العامـة فـي عمـان أن يدخـل الجيـش السوري النظامي الأراضي الفلسطينية من الحـدود اللبنانيـة للاسـتيلاء علـى صفـد وعـزل مستعمرات الحولة عن مستعمرات طبرية، والقيام بهجوم مشترك على حيفا، بالتعـاون مـع الجيش اللبناني وجيش الإنقاذ. وقد تسرّبت هذه المعلومات إلى الصهيونيين فقررت قيـادتهم إتخاذ التدابير الهادفة إلى التصدي لهذه الخطة باحتلال القرى الواقعة على محاور التحرك. وكانت مطمئنة إلى عدم احتمال تحرك القوات العربية قبل يوم 15 / 5 / 1948.

كانت مهمة الدفاع عن شمالي الجليل على عاتق اللواء " يفتاح " الذي فشـل خـلال شهر نيسان في احتلال قلعة النبي يوشع وخسر في محاولته 28 قتيلاً فتحول إلى تحصـين مواقعه وتعزيز قواته.

وفي يوم 13 / 5 / 1948 أصدر قائدة بيغال آلون أوامره إلى قائد الكتيبة الأولى بالتقدم لاحتـلال المالكيـة والتـلال المحيطـة بهـا، وإغـلاق الطريـق علـى القـوات السـورية واللبنانية إذا حاولت التحرك عبر هذا الاتجاه. وفي الوقت نفسه قام اللـواء المذكـور بعـزل قلعة النبي يوشع توطئة لاقتحامها من الخلف.

تحركت الكتيبة الأولى بعد تعزيزها نحو أهدافها ليلة 14 – 15 أيار وتمكنت من احتلال " قَدَس " والمعسكر البريطاني خارج المالكية، والمالكية نفسها. ولم يكن يدافع عـن هذه المواقع سوى عدد قليل من رجال جيش الإنقاذ. وقبل أن يعزز قائد الكتيبة الصهيونيـة مواقعه المحتلة، دفع المقدّم أديب الشيشكلي قائد قوات جيش الإنقـاذ فـي الجليـل بمفرزتيـن من قواته تعاونتا مع وحدة من الجيش اللبناني على القيام بهجوم معاكس قوي أجبر القوات الصهيونية على الانسحاب من المنطقة كلها بعد أن خسرت عدداً كبيراً من رجالها. وبذلـك تـمّ اسـتـرداد الـمـالـكية والمعسكر وقَدَس، وبدأت عملية تـحـصـين هذه المواقع. على أن

القوات العربية لم تطارد القوات الصهيونية المنسحبة، فاستطاعت هذه إعادة التجمع والتنظيم وتعزيز ملاكها وأسلحتها وهاجمت النبي يوشع بعد قصفها من الجو بقنابل حارقة شديدة الانفجار وتمكنت من احتلالها. وبدأت تستعد لمعاودة الهجوم على المالكية، ولا سيما أن القائد العام للقوات العربية عدّل الخطة السابقة التي كانت تحدد دخول القوات السورية إلى فلسطين من الحدود اللبنانية، وحدّد لهذه القوات محور سمخ. وهكذا لم يبق في الشمال سوى وحدات جيش الإنقاذ والجيش اللبناني الذي كلف الدفاع فقط بموجب التعديل الذي أدخل على الخطة.

في 19 / 5 / 1948، تحركت ليلاً قوة إسرائيلية معززة بالمدرعات إلى داخل الأراضي اللبنانية وقامت بالتفاف اتجهت بعده إلى المالكية من داخل الأراضي اللبنانية. وكان قد سبق لقائد الوحدة اللبنانية في المالكية أن طلب تعزيزه بالقوات بعد سقوط النبي يوشع ورصد تحركات صهيونية مشبوهة. واعتقد الجنود اللبنانيون وهم يشاهدون قوات تتقدم نحوهم من أراضيهم أنها قوات صديقة. ونجح العدو في مفاجأة المالكية واحتلالها رغم المقاومة العنيفة التي أبدتها القوات المدافعة عنها، كما احتل قَدَس ونسف كافة الجسور المؤدية إلى تلك المنطقة، سواء في الأراضي اللبنانيّة أو السورية.

ألقيت مهمة استرداد المالكية وقدس على عاتق قائد قوات جيش الإنقاذ " فوزي القاوقجي "، وألحق به فوج لبناني معزز بالدبابات، فتدارس الموقف مع اركانه، ووضع خطة مفصّلة أشرك فيها مع الجيش اللبناني فوج البادية وعدة سرايا مستقلة وبطاريتي مدفعية. وبعد أن حدّد لكل وحدة مواقع تجمعها وانطلاقها واتجاه هجومها قرر أن يكون الهجوم يوم 6 / 6 / 1948 في الساعة الواحدة والنصف ظهراً لمفاجأة العدو الذي تعوّد انتظار الهجوم عند الفجر. وقد طلب القاوقجي مساعدة الطيران السوري في استطلاع المنطقة بكاملها، واستطاع بذلك أن يعرف بدقة مواقع القوات الإسرائيلية ودرجة تحصينها ومناطق تجمع احتياطها.

وفي الوقت المحدد للهجوم بدأت مدفعية جيش الإنقاذ تصب نيرانها على مواقع العدو، بينما تحركت قوات الهجوم نحو أهدافها، ودارت معارك عنيفة بين الجانبين. وكان الطيران السوري يقصف الأهداف الظاهرة على الطرق والأهداف التي كان يحددها

قائد الهجوم، ويستطلع المنطقة، ويعلم عن مواقع القوات الصديقة، وعن أية قوة معادية قادمة للنجدة. ولم ينتهِ النهار حتى كانت المالكية قد عادت إلى الأيدي العربية. وفي اليوم التالي تحركت بعض الوحدات العربية نحو قَدَس واستعادتها وأمكن تطهير المنطقة بكاملها من القوات المعادية.

تميزت معارك المالكية بعنف القتال والتعاون الجيّد بين قوات جيش الإنقاذ والجيش اللبناني والطيران السوري.

ونظراً لأهمية هذه المعركة على الصعيد العربي بشكل عام، فقد تناولها كثير من الباحثين العسكريين، اللبنانيين والعرب، وبشهادة القادة الذين اشتركوا فيها تحديداً، حيث تعتبر شهادتهم وثيقة دامغة، بل هي من أصدق الشهادات. لذلك تعتبر معركة المالكية حدثاً تاريخياً هاماً في تاريخ الصراع العربي – الصهيوني. ولقد كانت تعني الجيش اللبناني وأبناء جبل عامل بقدر ما كانت تعني أهلها بالذات. لأن سقوط المالكية كان يعني سقوط المنطقة المجاورة بأسرها إن لم نقل أبعد من ذلك بكثير، وهذا ما قد حصل فعلاً.

من هنا جاءت مشاركة الجيش اللبناني فعالة وتميزت باشتراك أكثر من قائد أو ضابط معروف. وهذا ما سنأتي على ذكره في سرد وقائع المعركة.

بدأت معركة المالكية بمناوشات بسيطة، في شهر كانون الأول عام 1947، واستمرت حتى أواخر شهر نيسان من عام 1948، لكن من دون تسجيل انتصارات حاسمة لأي من الطرفين – أبناء القرية والإسرائيليين – وبذلك يمكن القول بأن المعركة لم تكن هجوماً واحداً فقط، لأنها قد مرّت بعدة مراحل، طرأ على كل واحدة منها عنصر جديد، إن لجهة السلاح أو لجهة المشاركة.

من هنا نتناول المعركة بتفاصيلها لتبيان ما تقدم على الشكل التالي:

المعركة الأولى:

بعد سقوط كامب النبي يوشع بأيديهم، هاجم الإسرائيليون المالكية في مطلع شهر أيار من عام 1948، انطلاقاً من مستعمرة الهرواي – التي أنشأوها عام 1946 في الجنوب الشرقي من قرية قدس – وقد استخدموا في هجومهم هذا " البغال " لحمل الأسلحة والذخائر وسلكوا في ذلك طريقاً فرعية من جهة الشرق وطريق وادي أبو سعيد كذلك.

تصدى أبناء المالكية و 500 من المتطوعين من القرى الجنوبية السبع ومن قرى يارون، عيترون، بليدا، ميس الجبل، بنت جبيل للإسرائيليين بقيادة النقيب في الجيش اللبناني محمد زغيب (*)، يرافقه المناضل الشهيد معروف سعد، ودارت معركة كبيرة استمرت منذ مطلع الفجر وحتى الغروب، واستخدم المتطوعون في هذه المعركة أسلحة فرديّة وذخائر محدودة معتمدين بذلك على التمويل الذاتي – إذا صحّ التعبير – وكانوا قد أجلوْا شيوخ القرية ونساءها وأطفالها إلى قرية عيترون المجاورة قبل بدء المعركة. ولم يستطع الإسرائيليون دخول القرية – رغم تفوقهم عتاداً ورجالاً – فانسحبوا مخلفين وراءهم ذخائر وأسلحة كثيرة، وسقط النقيب محمد زغيب شهيداً في 13 أيار 1948.

المرحلة الثانية:

هاجم الإسرائيليون المالكية في شهر حزيران من نفس العام، وسلكوا نفس الطريق التي سلكوها في هجومهم الأول، كما أنهم أدخلوا سلاح الدبابات عنصراً جديداً في المعركة واستطاعوا احتلال القرية، وهجّروا سكانها ومكثوا بعدها فترة شهرين في المالكية، تدخل أثرها الجيش اللبناني وكانت معركته الوطنية والقومية الأولى بعد الاستقلال مباشرة.

من هنا وجب تناول وقائع المعركة وتفاصيلها على ألسنة الذين شاركوا فيها:

• يروي العميد الركن المتقاعد، فرنسوا جينادري – وهو من المشتركين البارزين في هذه المعركة – وقائع المعركة بقوله: " كنت ملازماً ثانياً وآمراً لفصيلة مشاة تابعة للسرية الثانية من فوج القناصة الثالث. وأذكر أن مركزي كان في الناقورة. وقد صدرت الأوامر بنقل الفوج الثالث إلى نقطة معينة، يعرفها قائد الفوج العقيد جميل الحسامي وحده، وذلك حفاظاً على سرّية العملية التي قررت ". ويضيف قائلاً: " إنتقلنا في الساعة الرابعة

(*) – جال النقيب محمد زغيب على القرى الحدودية لجمع المتطوعين استعداداً لمعركة المالكية، وكان يخاطب هؤلاء قائلاً: " من أراد الموت دفاعاً عن الأرض فليأتِ معي ". وقد سقط شهيداً في هذه المعركة، مما دفع قيادة الجيش اللبناني إلى مكافأته من خلال إطلاق اسمه على ثكنة صيدا العسكرية، المعروفة اليوم باسم " ثكنة محمد زغيب ".

من ذاك النهار، وكان يوم جمعة متوجهين إلى منطقة بنت جبيل. وهنا نصبنا الشوادر، وكان نصيب سريتنا قرية مارون الراس. وعند الساعة 24، وبوجود الأمير مجيد أرسلان – وزير الدفاع آنذاك –، جمعنا الأمير اللواء فؤاد شهاب قائد الجيش في بساتين زيتون عيترون، وألقى خطاباً أذكر منه " إنه المطلوب من فوجكم شرف فك الحصار عن مجاهدي جيش الانقاذ العربي حيث انقطعت عنهم خطوط التموين، باحتلال الإسرائيليين قرية المالكية. وهي عبارة عن هضبة ارتفاعها 800 متر، وتشرف على ثلاث طرق تموين في الجليل الشمالي من أرض فلسطين المحتلة. الأولى المالكية – عكا، والثانية المالكية – ترشيحا، والثالثة المالكية – الناصرة ".

وأضاف جينادري قائلاً: " لقد وضعنا اللواء شهاب في جو المعركة مشيراً إلى أنه باحتلال هضبة المالكية انعزل ما يقارب الثلاثة آلاف مجاهد في منطقة الجليل الشمالي، وعلينا فك الحصار عنهم كما أشرنا. وأنهى اللواء شهاب خطابه قائلاً: لأول مرة يقوم جيش الاستقلال الوطني اللبناني بمعركة حيوية مصيرية وبالذخيرة الحيّة. وهي مناسبة للبعض منكم لأن ينال وسام صليب الحرب Croix de la guerre، كما أنها مناسبة للبعض الآخر أن ينال صليب خشب. وقد أثار ذلك ضحك جميع الضباط والجنود، في وقت لم يكن قابلاً للضحك أو المزاح. ثم شرح لنا شهاب بإسهاب عملية توزيع الأوامر الأساسية. ومن ثم تركنا بعد أن سلّمنا إلى قائد الفوج العقيد جميل الحسامي، ووضع بتصرفه فصيلة تتألف من أربع دبابات ومصفحتين بقيادة النقيب فؤاد لحود والملازم الأول الشيخ جميل عيد ".

ويتابع جينادري قائلاً: " بعد توزيع المهام العسكرية علينا، عدت إلى فصيلتي ضائعاً، إذ كنت في الحادية والعشرين من عمري، ومن عشاق الحياة كغيري من الناس، لكنني تذكرت في تلك اللحظة بأنني مسؤول عن 41 جندياً، وأن روحي لا تختلف عن أرواحهم. وقد أخذت كل سريّة موقعها استعداداً لاشارة الانطلاق – انطلاق الهجوم التي حددت بربع ساعة بعد مرور الطيران السوري الذي أوكلت إليه مهمة قصف مراكز العدو – وقد تمّ توزيع الوحدات العسكرية كالآتي:

1 – السرية الأولى – القائد الرائد ميخائيل أبو طقّه يعاونه ضابطان هما الملازم

الأول انطوان خوري، والملازم رزق الله صفير.

- المركز: مرتفع 500 جنوبي قرية بليدا الحدودية اللبنانية.
- المهمة: احتلال برج كلم 9 (تسمية انكليزية) والاتجاه شرقي قرية المالكية واحتلال الهضبة 705.
- الاتصال: – التعاون الوثيق مع فصيلة الدبابات على طريق مفرق بليدا – بلوكهاوس كلم 9 – المالكية.
- الحذر من تسلل إسرائيلي من وادي النبي يوشع (*).

2 – السَريّة الثانية: القائد النقيب سعيد نصر الله يعاونه الملازم فرنسوا جينادري والملازم حسين بركات.

- المركز: أوكل إلى الفصيلة الأولى مهمة التقدم إلى محور بليدا – كلم 9 – ومساندة الدبابات والمصفحات ومراقبة وادي النبي يوشع تحسّباً لكل طارئ قد تتعرض له مؤخرة السريّة الأولى.
- المهمة: وضعت الفصيلة الثانية بأمرة المعاون أبو حمزة، والثالثة بتصرف السرية الأولى والثانية لحماية مؤخرتيهما ومؤازرتيهما عند الاقتضاء.

3 – السريّة الثالثة: – القائد الركن زين الدين يعاونه الملازم محمد الحلبي والملازم إيلي أيوب.

- المركز: مرتفعات عيترون، شمالي قرية عيترون.
- المهمة: – التقدم واحتلال مرتفع 650 شرقي طريق المالكية – الناصرة في الأرض المحتلة، والالتفاف غرباً لاحتلال هضبة المرتفع 705.
- التعاون: التعاون الوثيق مع فصيلة الدبابات على طريق مفرق بليدا – المالكية.

4 – السريّة الثقيلة: – القائد الرائد رعد الهاشم يعاونه الملازم الأول الياس الحاج.

- المركز: هضبة جبل الكحيل – مرتفع 881.

(*) – وادي النبي يوشع هو المعروف بوادي عروس ويقع بين قريتي قدس والنبي يوشع.

• المهمة: مساندة سرايا المشاة وقصف مواقع العدو.

5 – المدفعية: القائد النقيب هنري شهاب.

• المركز: بساتين الزيتون شمالي قرية عيترون.

• المهمة: مساندة سرايا المشاة وقصف مواقع العدو.

• العتاد: مدفعان.

6 – المدرعات: القائد النقيب فؤاد لحود يعاونه الملازم الأول الشيخ جميل عيد.

• المركز: الانطلاق والتحرك من مفرق بليدا.

• المهمة: مساندة السرايا الأولى والثالثة ودعم تقدمهما حتى برج الكلم 9 وقرية المالكية.

• العتاد: أربع دبابات " رينو " من وزن ستة أطنان.

<u>وصف سير المعركة:</u>

إنتقل جينادري إلى وصف سير المعركة فقال: " لقد كان العدو الإسرائيلي بكامل استعداداته. وعندما تحركت وحداتنا قام بقصف جميع مواقعنا بنيران غزيرة ومكثفة للغاية، الأمر الذي جعلنا نبقى في مراكزنا دون أي تقدم. وقد كانت مهمتي السير وراء الدبابات من طريق بليدا الكلم 9 ومراقبة سير السرية الثالثة والأولى والحفاظ على مؤخرتيهما تجنباً لأي عمل مفاجئ قد يقوم به العدو من وادي النبي يوشع، ويمكن هنا تسجيل الآتي:

1 – لقد أحرق العدو جميع حقول الحنطة والمزروعات لتأمين حقول رماية لأسلحته الفردية والرشاشة معاً.

2 – كان تقدم السريّة الأولى والثالثة صعباً جداً. إذ أن الأسلحة الإسرائيلية كانت تشرف علينا من هضبة المالكية، ورغم بسالة جنودنا كان التقدم بطيئاً جداً وخصوصاً أيام الحرّ.

3 – تقدمت الدبابات بكل حذر خوفاً من الألغام التي زرعها العدو، وقد كان وضع فصيلتي صعباً للغاية حيث كانت الأرض مكشوفة على مسافة 800 متر، ولم يتمكن الجنود من الزحف لأن العدو كان يطل عليهم من مواقع الكلم 9 والمالكية.

4 – بسبب الطوق المفروض علينا، أمرت الفصيلة بالوثوب حتى الكلم 9، لكي أتجنب نيران العدو. فاتصلت بالعقيد جميل الحسامي وطلبت منه الإيعاز للملازم الأول الشيخ جميل عيد بأن يساندني بنيران دباباته ومصفحاته. وقد شجعني العقيد على هذه الفكرة وأصدر الأوامر الخاصة بذلك. وعندما أعطيت جنودي أمر " اقرنوا الحراب " شعرت بتيار بارد يسري في عروقي، إذ كنت ساعرّض حياتهم لنيران العدو المرابض في برج الكلم 9، وأنا مسؤول عن كل واحد منهم. إلا أن أحداً منهم لم يتقدم. عندئذ تذكرت مدربي الفرنسي الذي قال لي في أحد الأيام: " الرئيس هو رأس ولكنه أيضاً هو في الرأس، أي في الطليعة ". عندئذ وثبت وثبة الخائف من الموت، ولكنها وثبة القدوة الصالحة. فهبّ جنودي خلفي هبّة الرجل الواحد، باتجاه موقع الكلم 9، وهم يطلقون النار. وهكذا فعل الفوج بكامله، وكان دوي نيران الأسلحة شبيهاً بالحمم التي يقذفها البركان. لقد قاومنا العدو مقاومة شرسة، ومع ذلك وصلنا إلى قمة الهضبة في المالكية. وخضنا مع فلوله ثلاث معارك، أجبرناها في النهاية على الانسحاب والانكفاء نحو الأرض المحتلة، حيث عمدت هذه الفلول إلى تفجير وإحراق كل الذخائر والعتاد التي كانت بحوزتها.

وينهي جينادري ذكرياته عن معركة المالكية قائلاً: " أذكر أن أول جندي جرح في هذه المعركة المشرفة للجيش اللبناني هو من فصيلتي واسمه الرقيب الأول مارون حافي، وقد أصيب بجرح في رأسه ورقبته فنقل إلى مستشفى بنت جبيل ثم إلى مستشفى الخليل في صور، كما أذكر أننا كنا في فترة صيام رمضان المبارك، كان العقيد جميل الحسامي صائماً، إذ وعد والده الشيخ محمد الحسامي باحترام صيامه خلال المعركة ".

- أما العقيد الركن منير حمدان، فهو أحد المشتركين كذلك في المرحلة الثانية من معركة المالكية. وتحديداً في أوائل شهر تشرين الأول عام 1948، بعد انسحاب الجيش اللبناني من المالكية لانتظار صدور قرار من القيادة العامة لجامعة الدول العربية. ويقول: " لقد كنت تابعاً للفوج الخامس الذي حلّ مكانه الفوج الثالث المنسحب من المالكية، وقد فوجئنا بالهجوم الإسرائيلي بعد انسحاب جيش الإنقاذ الذي لم يكن كامل العتاد والأسلحة، فقاومَنا الاسرائيليون مدة ثلاثة أيام، قاتلنا خلالها قتالاً مكشوفاً وضارياً، ولم يتراجع الفوج

الخامس، إلا بأمر العميد سالم الذي كان رئيساً لأركان الجيش اللبناني آنذاك.

وقد رسم العميد حمدان الوضع العام قبل وقوع معركة المالكية قائلاً: " لقد كان جيش الإنقاذ الذي شكل من قبل الجامعة العربية وبأمرة الجنرال طه باشا الهاشمي (عراقي) موزعاً في الأراضي الفلسطينية، حيث تكثر كثافة السكان العرب، وكان فوزي باشا القاوقجي من كبار قادة هذا الجيش الذي كان مؤلفاً بأغلبيّته من ضباط عرب خدموا سابقاً في الجيوش العربية ومن المتطوعين. وقد كان هذا الجيش ضعيفاً جداً ووسائل اتصالاته محدودة جداً. لذلك كان يُمنّى بالخسارة كلما اشتبك مع وحدات الهاغاناه الإسرائيلية، وكانت آخر خسارة استيلاء الجيش الإسرائيلي على الجليل الشرقي الأعلى – أي من المالكية لغاية دان –.

ويصف العميد حمدان المالكية عسكرياً ويقول: " إن المالكية تشكل من الناحية التكتيكية أحد محاور العبور الثلاثة من الأراضي اللبنانية إلى الأراضي الفلسطينية المحتلة، وهذه المحاور هي:

1 – مرجعيون – طبريا حيث يكثر في هذه الأخيرة التواجد السكاني اليهودي.

2 – صور – حيفا. حيث تتكاثر فيها الكثافة السكانية اليهودية.

3 – بنت جبيل – المالكية (كثافة سكانية عربية).

ويشرح العميد حمدان خلفيات ووقائع معركة المالكية فيقول: " في أواخر حزيران 15948 إستولى الإسرائيليون على معقل المالكية الذي كان تحت سيطرة جيش الإنقاذ – كتيبة المقدم شكيب وهاب –. إن احتلال هذا المعقل له أهمية كبرى، والذي يستولي عليه يؤمن

حرية التحرك إلى داخل فلسطين شرقاً وغرباً وجنوباً. لذلك قررت القيادة العسكرية العربية الموحدة إعادة احتلال هذا المعقل والتدخل في الجليل الأوسط لغاية الناصرة وطبريا.

وبتاريخ 4 / 7 / 1948 إجتمع في بلدة تبنين اللبنانية كل من طه باشا الهاشمي القائد العام للقوات العربية في فلسطين، وفوزي باشا القاوقجي – قائد جيش الإنقاذ – والمقدم شوكت شقير – رئيس أركان جيش الإنقاذ – وكان مفصولاً من الجيش اللبناني

إلى جيش الإنقاذ، والمقدم طالب الداغستاني - قائد فوج الهجانة السوري -، والعقيد جميل الحسامي - قائد فوج القناصة الثالث اللبناني -، والنقيب فؤاد لحود - قائد سرية للمدرعات -، والملازم أول علوش - قائد كتيبة من جيش الإنقاذ -، والملازم أول عفيف البزري - آمر مدفعية مؤلفة من فصيلتين لبنانية وسورية وهو من الجيش السوري -. كما حضر الإجتماع اللواء فؤاد شهاب، والعميد يوسف سالم رئيس أركان الجيش اللبناني، وأشرفا على الهجوم من بلدة عيترون. كما حضر جزءاً من الهجوم الأمير مجيد ارسلان وزير الدفاع آنذاك.

بقي الجيش اللبناني في المالكية حتى أوائل تشرين الأول سنة 1948، حيث استلمت منه كتيبة الجامعة العربية المؤلفة من عناصر تابعة لجميع الدول العربية ومعظمها من الليبيين. كانت هذه الكتيبة مؤلفة من أربع سرايا، وقائدها المقدم شوكت بك اليوغسلافي - متطوع -. سميت هذه الكتيبة بفوج القنّاصة الخامس لأسباب إدارية. وفي النصف الثاني

من شهر تشرين الأول 1948، خرق الإسرائيليون الهدنة وقاموا بهجوم واسع النطاق مدعومين بطيران حربي حديث ومدرعات حديثة واحتلوا الجليل الأعلى بكامله، وتحت الضغط وبعد انسحاب كافة عناصر جيش الإنقاذ، كما انسحبت الكتيبة السورية التي كانت بقيادة المرحوم النقيب عدنان المالكي، مما اضطر الفوج الخامس، وبعد قتال مكشوف دام ثلاثة أيام - وبأمر من المرحوم العميد يوسف سالم - رئيس اركان حرب القيادة اللبنانية - إلى التراجع للتلال المحيطة ببلدة بنت جبيل وهي مارون الراس - صف الهوى - مرتفع 847 بين عين إبل وبنت جبيل. وبعد التراجع طلب العميد سالم تثبيت الهدنة ووقف إطلاق النار، فاستجيب إلى طلبه من قبل الأطراف المعنية.

• ويروي العقيد النائب فؤاد لحود - رئيس لجنة الدفاع النيابية -، ومن الذين خاضوا معركة المالكية، تفاصيل هذه المعركة قائلاً: " كان وزير الدفاع الأمير مجيد ارسلان، وقائد الجيش اللبناني اللواء فؤاد شهاب وضابط الإشارة النقيب جان نجيم - أصبح قائداً للجيش اللبناني فيما بعد -، كان هؤلاء الثلاثة يشرفون على المعركة من على أكمة مجاورة. وكان من المفروض أن أكون في الناقورة لكنني حضرت فاتصل بي قائد

الجيش لاسلكياً وسألني: " من أمرك بالحضور والاشتراك في المعركة؟ فأجبته: لا أحد، وأنني أتحمّل مسؤولية عملي. وتابعت الهجوم. وعندئذ ترك وزير الدفاع مكانه " بلاندروفر " مكشوف قائلاً: " إنني أغطّي شخصياً ما قام به النقيب لحود لرفع المسؤولية عنه. لذلك سأشترك معه في الهجوم. وبعد دقائق وصل الأمير مجيد فرجوته عدم إكمال طريقه معنا، خصوصاً وأنه يستقلّ " جيباً " مكشوفاً، لكنه رفض وأكمل الهجوم، حيث استولينا فيما بعد على المالكية. وبعد المالكية تابع الأمير مجيد طريقه مع فوزي القاوقجي إلى الناصرة، بعد أن انهزم الجيش الإسرائيلي. إلا أنهما توقفا هناك بعد إعلان الهدنة. وبعد انتهاء المعركة عاقبني قائد الجيش لأنني دخلت المعركة دون أمر، ولكنه منحني – من جهة ثانية – كما منح كتيبتي أعلى وسام عسكري، وهو وسام الحرب مع السعف، كما منح بالتالي جميع الضباط المشتركين الوسام نفسه، إلا أن وزير الدفاع ألغى عقوبتي واستبقى لي الوسام ".

- أما العميد الركن المتقاعد خطار حيدر، فقد اشترك في معركة رأس الناقورة، التي دارت رحاها بين الجيش اللبناني والعدو الإسرائيلي في 26 أيار عام 1948. كما كان شاهداً على معركة المالكية باعتباره قائداً للقطاع الغربي في الجنوب اللبناني من الناقورة حتى رميش، ويرسم العميد حيدر أمر هذه المعركة عسكرياً بقوله: " لقد كانت معركة المالكية من أبرز المعارك التي خاضها الجيش اللبناني مع العدو الإسرائيلي. أدار هذه المعركة من مقرّ قيادة المجموعة، اللواء فؤاد شهاب، وكان إلى جانبه وزير الدفاع الأمير مجيد أرسلان. أما جيش الأنصار، بقيادة المجاهد فوزي القاوقجي والزعيم شوكت شقير، فقد تقدم بعد ان اجتاز المالكية، حتى مدينة الناصرة، ثم تراجع على أثر هجوم مضاد قامت به قوات مدرّعة اسرائيلية من قرية النبي يوشع، لاستعادة المالكية، بعد أن أخلاها الجيش اللبناني... وقد تابع العدو تقدمه باتجاه الحدود اللبنانية وتمكن من الاستيلاء على احدى عشر قرية (نذكر من هذه القرى عيترون، بليدا، ميس، وبلدة بنت جبيل)، وقد أعيدت هذه القرى الى لبنان بعد أن وقّعت الهدنة في رودس عام 1949. أما الخسائر في صفوف العدو فكانت جسيمة، وطفيفة جداً في صفوف الجيش اللبناني ".

- إضافة إلى ذلك، يذكر هاني الهندي في كتابه عن " جيش الانقاذ " بهذا الصدد،

انه بعد جلاء الانكليز عن المالكية سيطرت على القرية والمعسكر مفرزة صغيرة من فوج اليرموك الثاني الذي كان يقوده المقدم أديب الشيشكلي. ولكن الصهاينة قاموا بهجوم مفاجئ في 12 أيار / مايو واحتلوها، إذ كانوا على علم بالخطة العسكرية العامة وعلى معرفة بأن القوات السورية ستنطلق من المالكية. ويقول ناتانيل لورتش (Netanel Lorch) الصهيوني " أن هناك ثلاث طرق للتقدم من لبنان الى فلسطين. ولقد اختار اللبنانيون الطريق المركزي – أي المالكية – ليس لأنه يمكنهم من الوصول إلى الجليل الشرقي دون مواجهة المستعمرات اليهودية فحسب، بل ويمكنهم فيما بعد من الاتصال بالسوريين والعراقيين ودعمهم في هجومهم على حيفا. ولهذا وضع فوجان من المشاة وسرية مصفحات لتصدّ التقدم اللبناني من خلال " بوابة المالكية ". ويقول محمد فايز القصري ان الصهاينة " أرسلوا سرية مغاوير من البالماخ من مستعمرة الهراوي وتسلّلوا الى المعسكر في منتصف ليلة 12 – 13 أيار / مايو واستولوا عليه... وفي الصباح استعادت قوات الانقاذ بقيادة الشيشكلي المالكية ومعسكرها... وعند الظهر كان اليهود يلجأون الى المرتفعات المجاورة ". وفي 29 أيار / مايو عاد اليهود لطرد قوات الإنقاذ من المالكية وقَدَس وبليدا وعيترون... ونظراً لأهمية هذه المنطقة فقد قررت قيادة الانقاذ وقيادتا الجيشين السوري واللبناني ضرورة استعادتها. ولذلك فقد حشدت في أوائل حزيران / يونيو قوات مشتركة زادت على ثلاثة آلاف مقاتل وطردت اليهود من المنطقة.

كانت القوات المشتركة في هذه المعركة تتكون من:

فوج جبل العرب وكان يقوده الرائد شكيب وهّاب، وفوج حطين بقيادة النقيب مدلول عباس وألحقت به سرية عراقية بقيادة الملازم الأول شناوة عرد، وسرية من فوج اليرموك الأول، وسرية يمانية وسرية مجدل شمس، وفوج من المتطوعين اللبنانيين بقيادة النقيب حكمت علي، بالاضافة الى فصيل من المتطوعين اليوغوسلافيين. هذا من جانب الانقاذ. وكان هناك فوج نظامي لبناني بقيادة المقدم جميل الحسامي وسرية دبابات خفيفة لبنانية. واشترك في القتال أيضاً فوج البادية السوري وبطاريتا مدفعية (12 مدفعاً) بقيادة الملازم الأول عفيف البزري وطائرات سورية. وكانت قيادة هذه القوات المشتركة للمقدم طالب داغستاني، والرائد الركن عامر حسك وهو ضابط ركن القوة.

وفي الواحدة بعد ظهر يوم 6 حزيران / يونيو فتحت المدفعية نيرانها ثم تقدم المشاة على مواقع الصهيونيّين في المالكية برتلين... وبعد قتال دامٍ استمر خمس ساعات انسحب اليهود ودخلت قواتنا منتصرة... وكانت خسائر اليهود كبيرة... وكان الضباط والجنود العرب على جانب عظيم من الضبط والسيطرة وشجاعة ممتازة وتشوّق لقتال اليهود... ".

أما الصهاينة فيقولون: " ان القوة التي كانت في المالكية، من لواء عوديد المؤلف بشكل أساسي من رجال الحرس المحلّي ومجموعات هامشية غير مدربة. وقد استطاعت ثلاثة أفواج عربية (لبنان، سورية، إنقاذ) من شن هجوم مركز صباح 6 حزيران / يونيو. ومع أن الإسرائيليين تلقوا تقارير وشائعات عن تحركات عسكرية على جانبي " إصبع الجليل الشرقي "، إلا أن جنود عوديد غير المدرّبين أخذوا بمفاجأة كاملة. ولقد حاولوا في البداية التصدي لفوج القاوقجي وتعرض السوريون لخسائر كبيرة لوقوعهم في حقل ألغام، لكن القوة اللبنانية نجحت في طرد الاسرائيليين من المالكية... ". ويتابع دان كورزمان (Dan Kurzman) ليصف القاوقجي راكباً سيارة الجيب ومرافقاً لقوات الانقاذ في تقدمها نحو الجليل، حيث يرد التحية للجماهير التي خرجت لاستقباله.

أما المقدم لورنش فإنه بعد إشارته إلى تحقّق المفاجأة بالنسبة لقوات عوديد (حيث كثيراً ما يلجأ الاسرائيليون إلى خلق التبريرات المختلفة عند كل هزيمة تلحق بقواتهم (ص.ز.)) يذكر أن القوات العربية كانت في حجمها تتشكل من لواءين تقريباً، وقد تابعت تقدمها بعد انسحاب الصهاينة، إلى قَدَس، وتوغلت داخل الجليل ثانية بثلاثة أرتال: نحو قرية لوبيا والشجرة والثاني نحو الناصرة، والثالث نحو الجليل الغربي.

هذه المعركة الناجحة لم تستثمرها قيادة الإنقاذ كما يجب، ففي رأي الرائد عامر حسك " ان هذه القوة الكبيرة قلّما تجتمع في مكان واحد وبقيادة واحدة، فاغتنمت هذه الفرصة وعرضت على القاوقجي فكرة استغلال الظرف والاستفادة من هذه القوات القوية بمعنوياتها والكثيرة بعددها وأسلحتها، وطلبت أن يستأنف الهجوم على مواقع اليهود في الهراوي والنبي يوشع، ومن ثم يطهر الجيب في منطقة الحولة حتى المطلة في شمالها والاتصال بالقوات السورية في منطقة بانياس وجنوبها، مؤكداً له أن هذه العملية لا ريب

في نجاحها نظراً لوضع اليهود المرتبك في جميع أجزاء فلسطين باعتبار ان سيطرة الموقف كانت بيد القوات العربية في كل جزء حينذاك... ". ولم يكن هذا الرأي قاصراً على الرائد عامر حسك، بل أن هناك عسكريين عرب أخرين تضايقوا جداً يومها من توغل الإنقاذ في الجليل وتركه مجموعة المستعمرات اليهودية إلى يسار قواته فيما كانت القوات السورية تقاتل يومها على مقربة منه، إذ كانت تهاجم مشمار هايردن.

ولو تقدم الإنقاذ نحو الشرق بدل التوجه نحو الجنوب – كما يقول المقدم شوكت شقير – لاستطاع تأمين الاتصال بالجيش السوري وعزل ما يسمى بـ " إصبع الجليل الشرقي " ومجموعة المستعمرات القائمة فيه لتشكل حاجزاً بين لبنان وسورية.

هذا ويقول المقدم الركن شوكت شقير: من المؤسف ان الصحافة العربية شاركت في التضليل، إذ كتبت العناوين الكبيرة في تضخيم عودة قوات الإنقاذ إلى الجليل وكان فيه قوات معادية وقد تم طردها منه، وجعلت من ذلك وكأنه هجوم صاعق على نحو ما كانت تعرف به الهجمات العسكرية الالمانية الصاعقة (بليتز كريغ) في أوروبا خلال الحرب العالمية الثانية، في حين أن الإنقاذ لو توجّه بقواته نحو الشرق لسحق القوات الصهيونية في الهراوي والنبي يوشع، لكان حقق فوائد عسكرية هامة ومفيدة جداً للوضع العسكري العربي العام (سورية ولبنان خاصة) ولجيش الإنقاذ نفسه.

وهكذا تبقى معركة المالكية " لؤلؤة " المعارك الفاصلة التي خاضت غمارها القوات العربية عام 1948، وخصوصاً قوات الجيش اللبناني التي أثبتت جدارتها وكفاءتها القتالية الرائدة في هذا المضمار.

المراجع

1 – هاني الهندي " جيش الإنقاذ ". دار القدس. بيروت. الطبعة الأولى 1974. ص 103 – 106.

2 – الرائد عامر حسك " من مأساة فلسطين ". مطبعة المعارف. بغداد 1960. ص 29 – 35 و 78.

3 – العميد محمد فائز القصري " حرب فلسطين 1948 ". الجزء الثاني. دمشق 1962. ص 295 – 296.

4 - مذكرات فوزي القاوقجي. اعداد د. خيرية قاسمية. بيروت 1975.

5 - حسن البدري " الحرب في أرض السلام ". القاهرة 1976.

6 - عارف العارف " النكبة ". الجزء الرابع. بيروت 1956.

7 - الموسوعة الفلسطينية. الجزء الرابع. هيئة الموسوعة الفلسطينية. الطبعة الأولى. دمشق 1984. ص 74 - 76.

8 - فايز حسن الريس " القرى الجنوبية السبع " مؤسسة الوفاء. بيروت. الطبعة الأولى 1985. ص 101 - 113.

9 - مجلة " الأفكار ". العدد 11. الاثنين 10 أيار / مايو 1982. ص 7 - 9.

10 - كتاب " القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني " منشورات وزارة الدفاع الوطني اللبناني ومؤسسة الدراسات الفلسطينية. بيروت. الطبعة الأولى 1973. ص 554 - 559.